موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة الرامة

قضاء عكا

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة الرامة

عروس الجليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء..... 7

تقديم..... 8

مقدمة..... 9

الفصل الأول:لمحة جغرافية..... 10

الموقع وأهميته..... 10

عدد السكان وتطورهم في قرية الرامة..... 11

أهمية موقع البلدة..... 12

النباتات الطبيعية والحيوانية في بلدة الرامة..... 12

الحيوانات البرية..... 16

الفصل الثاني: لمحة تاريخية..... 20

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية في بلدة الرامة..... 28

الزراعة..... 28

الصناعة..... 29

التجارة..... 30

التربية والتعليم في قرية الرامة..... 30

السياحة..... 31

الفصل الرابع: أعلام بلدة رامة الجليل..... 32

سلمان يوسف فراج..... 32

سميح القاسم..... 33

كمال نجيب القاسم..... 35

مها رزق قسيس..... 35

ناصر جرحس عيسى..... 36

هدى حنا حداد..... 37

نايف خوري..... 39
يوسف أيوب حداد 40
العائلات في بلدة الرامة 41
الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية 42
الطب الشعبي 42
الألعاب الشعبية..... 44
التعاون 45
الفصل السادس: السكن وبنية المنازل..... 47
السكن 47
الفصل السابع: الأفراح (الزواج ومراسيمه) 52
الفصل الثامن: ثقافة المقاومة السلمية 64
الفصل التاسع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 71
الفصل العاشر: سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل 77
الفصل الحادي عشر: انتفاضات شعب فلسطين 84
الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) 85
الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 87
الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى..... 88

إهداء

إهداء إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به العيون، تهفو له القلوب وتترنم به المشاعر، والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله من الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين. لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين في أجواء الكون، تحمله موجات الأثير، المسموع منها والمرئي والمقروء، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس. لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، أفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات، وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج مثل الجرمق وكنعان في صفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت (–435م تحت سطح البحر).
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة (المصرية، الكنعانية، البابلية، الآشورية، الكلدانية، الآمورية، اليونان، الرومان، الفرس وغيرهم).
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة واستثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. ولهذا كله، أو بسبب هذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين، ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلةً أمام عينيه تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن "فلسطين" قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني، له أيديولوجية خاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التاريخ وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين، وأصبح الصراع صراع وجود. وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض؛ على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية لماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية، وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، يهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة الممارسات الصهيونية، أي تندرج في إطار أدب المقاومة، إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. وعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل للبعد التاريخي من غزوات وتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، ثم الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى، ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل شيء يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف؛ لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص والحس الوطني الصادق والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، ويمنحه علماً ومعرفة بأهمية بارزة، وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (الكيبوتز والموشاف)، واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلةً فاعلةً من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية.

وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه. إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلونه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي.

هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها، ظالمةً كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً للعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا إلى ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم، وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام وبإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمةً للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول:لمحة جغرافية

الموقع وأهميته

تقع بلدة الرامة إلى الشرق من مدينة عكا على بعد 29 كم منها، وعلى مسيرة نحو 40 كم من الناصرة. تقوم البلدة على سفح جبل حيدر بارتفاع 338م عن سطح البحر[1].

مساحتها 56 دونماً. أقرب قرية لها "بيت جن". ومعنى "الرامي" العالي والمرتفع، وهو جذر سامي مشترك يفيد العلو. والقرية تقوم على مكان "الرامة" المدينة الكنعانية العربية المسورة.[2]

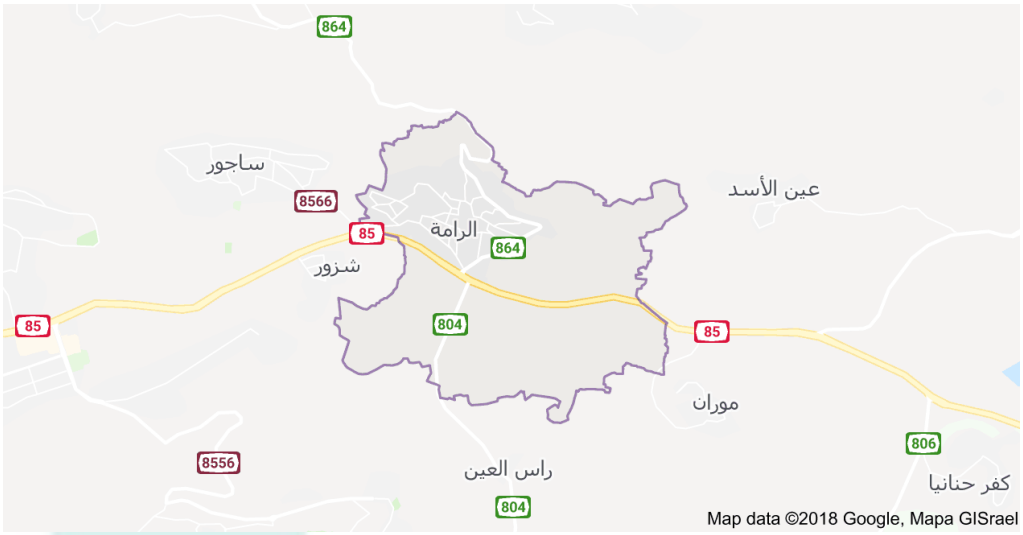

مر بها الرحالة "إدوارد روبنسون" الأمريكي عام 1828م وذكرها بقوله: "تقع الرامة في بقعة محروثة على أسفل منحدر الجبل، ولكنها تعلو مئات الأقدام من السهل تحتها. وهي قرية كبيرة عليها مظاهر الثراء والعمران، سكانها مسيحيون أورثوذكس وكاثوليك ويقدرون بثلثي السكان تقريباً. والقرية محاطة ببساتين متسعة من الزيتون. لم نسمع بوجود آثار قديمة في القرية. تركنا القرية في سهل تغمره أشجار الزيتون القديمة، تشكل دغلاً كبيراً... وهذه الأدغال، كما سمعنا في أنحاء كثيرة من البلاد، يسميها السكان رومي أي 'يوناني'، اعتقاداً منهم أنها دخلت إلى البلاد قبل الفتح الإسلامي، وهو اعتقاد صعب تعليله.[3]

تملك الرامة أراضي مساحتها 24,516 دونماً، منها 128 للطرق والوديان، ولا يملك اليهود فيها شيئاً. يحيط بهذه البلدة أراضي قرى بيت جن وسجور ونحف وسخنين والمغار وكفر عنان. وكلها غوطة ضمن شجر الزيتون. وتتميز الرامة وما حولها بما يلي:

1) وقوعها على الجبل والسهل؛ تتسلق أبنيتها جبل حيدر حتى وسطه البالغ ارتفاعه 600م عن سطح البحر، إذ يطل سفحه غرباً على البحر الأبيض المتوسط.

2) تتمتع البلدة بمناخ حار معتدل صيفاً، تلطف حراته الرياح الغربية، ويأتي الندى في المساء ينعش الصدور ويفرح القلوب. وفي الشتاء البارد تهب رياح البحر فتلطف البرد.

3) اشتهرت الرامة بإنتاج الزيتون من حيث الكم والنوع وبراعة تسويقه، لجودته من حيث القطف والعصر والتعبئة بأنواعها وأشكالها وخبرة العاملين بها.

4) خبرة المزارع. قال صاحب كتاب "شجرة الزيتون": "يعتبر المزارع في قضاء عكا نشيطاً كثير العناية بزيتونه. واشتهر من بين القضاء بصفة خاصة أهل الرامة، فهم بدأوا ولا يزالون يبذلون جهوداً كبيرة في تحسين أغراسهم والمحافظة على أشجارهم القديمة بمهارة، بما أقاموه ويقيمونه من الجدران والمصاطب، ويزيلونه من الأحجار الكثيرة والصخور. وهم يقلمون أشجارهم بمهارة، وهم ذو ولع خاص بالزيتون وبكل ما يمت إليه. ومعاصرهم الميكانيكية أحسن معاصر فلسطين، ولزيتهم للمونة شهرة كبيرة في أسواق فلسطين. ويستفيد المزارع الرامي من زيتونه الأسود، وصُنّف الرامي الأسود شهير جداً في أسواق بيرت، وهم يفضلونه على أفخر الأنواع اليونانية والتركية والإيطالية لرقّة قشرته ولذة نكهته، وهو يحصل على أسعار عالية. وأهل الرامة ينتقون من زيتونهم الأسود أكبره حجماً وأجمله منظراً ويقدمونه للأسواق، فلا غرو إذا اعتبرنا زيتونهم التجاري للأكل من زيوت الدرجة الأولى. أما زيتهم للمونة فيعتبر من الزيوت الممتازة. والرامة والمغار وحزور (من قضاء طبرية) هما القريتان الوحيدتان في فلسطين اللتان تعنيان بصناعة الزيتون الأسود، والأولى أشهر من الثانية وأعرق".

وقد وصف مؤلفا جغرافيا فلسطين "الرامة" بقولهما: "الرامة بلدة جميلة واقعة إلى الشرق من عكا في الطريق بينها وبين صفد. وقد اشتهرت بكثرة زيتونها وجودة زيتها الذي يفضل لا محالة كل زيت في فلسطين. وأهل هذه البلدة راقون بكثرة المتعلمين فيهم(4)".
كانت قرية الرامة رائدة القرى في الجليل الأعلى والأدنى في العلم والمعرفة، فقد كانت الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية في العهد العثماني قد أقامت مدارسها من رياض أطفال ومدارس ابتدائية. كما احتك سكان القرية مع المهاجرين من أقربائهم وذويهم وأخذوا عنهم مظاهر الحضارة والتقدم. وقد انعكس هذا على باقي سكان القرية، وأخذوا يطلبون العلم والمعرفة منذ زمان حتى باتت الحضارة وحسن الحال يعمان الجميع.

عدد السكان وتطورهم في قرية الرامة

العام	السكان
1948	2307
1949	2392
1961	3270
1967	3000
1987	4930
1997	6703

ينقسمون إلى: روم أرثوذكس 1100، روم كاثوليك 775، رومان كاثوليك 200، دروز 775، مسلمون 350 نسمة. المجموع: 3200 نسمة يضاف لهم 70 نفراً من الأرمن والأقباط.

وإذا اعتبرنا النسبة الوسطية لزيادة السكان بعد هذا الإحصاء، يكون عدد سكان بلدة الرامة بحدود 8470 نسمة.

أهمية موقع البلدة

تقع بلدة الرامة في منطقة جبلية قرب حواف صدع الشاغور الذي يفصل الجليل الأعلى عن الجليل الأدنى، والذي سهل المواصلات بين الساحل والداخل، مما جعل المنطقة جاذبة للسكان منذ عهد بعيد. كما أن الجو مناسب للإنسان وللزراعة أيضاً. تكسي أراضي الجليل النباتات والأحراش، وفيها المياه والينابيع بكثرة. وجبالها المؤلفة من صخور يغلب عليها الكلس، الذي يمتص ماء المطر ويختزنه في جوفه ليخرج الماء منه بشكل ينابيع على حواف الأودية والأنهار. وتكثر في منطقة الجليل المغاور، ويعود ذلك إلى أن المياه الساقطة من السماء تغوص في الصخور الكلسية (الكارستية) وتبدأ بتذويب الصخور، فتبدأ الفجوات وتتسع مع الزمن. وتحدث المغاور المملوءة بالماء في أسفل المغارة طبقات من الطين الكاتمة غير النفوذة للماء. والمغاور إن وجدت فإنها تكون من صنع الإنسان وتوسيعها، أو بسبب الصدوع والفوالق التي تعرضت لها المنطقة عبر الزمن. والمهم عندنا هو التعرف على ما أكسبته الطبيعة من نباتات طبيعية وطبية إلى جانب الحيوانات الأخرى.

النباتات الطبيعية والحيوانية في بلدة الرامة

تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها وخصائصها. ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن، فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات، وقليلاً ما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة. ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيرية واضحة. كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة. تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والزعتر والزوفا والميرمية والشومر. كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدفلة: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة، وهي شديدة السمية للإنسان والحيوان، وتؤدي بذورها إلى الغثيان وانخفاض النبض. وتدخل مستحضراتها كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سروية، يستخدم في الطب. وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج، فتجفف في الظل وتهوّى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول. وتفيد كمقشعة وللالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة. يستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها، ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وذو خواص مضادة للديدان الحلقية. كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحياناً، ويكثر في المزارع. ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة. ومنقوع ثماره المغلية يستعمل لأمراض الجذام. ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقوياً للشعر كما يستخدم في أمراض عدة.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزلية وجذوره قوية تمتد إلى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية. تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة. أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم، يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حولي، تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة. وتستعمل ضد الالتهابات، وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسة: نبات عشبي أيضاً وهو معمر، يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية. يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية، كما يستفاد منها في المرطبات. وتستعمل طبياً في حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب. كما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون)، يستعمل منشطاً للأمعاء وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية. تستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات الغذائية. ويعتبر أساساً صناعياً للمنتوجات العطرية والتجميلية.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر. تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية، ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة، ويحوي زيتاً طياراً. تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت. كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في الروماتزم. وإن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة. كما يدخل السعتر في الطعام للإنسان مخلوطاً بالزيت (زيت الزيتون) والفطائر. وهو مفيد لالتهاب اللثة والأغشية المخاطية والتهاب الرئة وقرحة المعدة والاثني عشرية، وكطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال. يكثر هذا النبات في المنطقة.

الزعتر: يرافق السعتر، له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية. تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء. ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية، تكثر في البراري وأطراف الأودية. وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة، وهي

غذاء أساسي للناس في موسمها. كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم، وكذلك بالنسبة للسعتر.

الخلة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل. يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضوض الجلد، إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية؛ لأنها توسع الأوردة.

شجر الخرنوب: يكثر شجر الخرنوب في المنطقة وبشكل خاص على سفوح المرتفعات. وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخرنوب وحفظها في أماكن خاصة حتى تجف. ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست). ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً. ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء، ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين، ويستفاد منه للحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست فيغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الكمّد ثم إلى اللون الأسود، ويدعى دبس الخروب أو (الرُب). ويعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها وتموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام. وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس. والملفت للنظر أن أوراق شجر الخرنوب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي؛ فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ ولا يزول بالصابون العادي سوى بورق الخرنوب.

شجر الزيتون: تنتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الرامة والجليل. تجمع ثمار الزيتون من أيلول حتى أواخر تشرين الثاني. وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة. ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر. وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وحجر كبير دائري بشكل الدولاب يديره حيوان. ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف فوق بعضها فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل يسمى (البئر أو البِدّ). وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون. تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز) ثم يجمع الزيت في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار، وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان. والمعصرة الآلية في البلدة يسمونها "البابور."

مكبس الزيتون

دولاب الجفت

دولاب عصر الزيتون

الصبار :وشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم حلو المذاق يُلتقط بواسطة الأيدي. واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات وأقماع معدنية مثبتة على عصا طويلة. ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب. وتعتبر أحزمة الصبار حدوداً للكروم، سياجاً يحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي. كما تعتبر عصارة ألواح الصبار مادة قلوية لالتئام الجروح.

الحمضيات: ينتسب إلى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون، البرتقال، اليوسفي، الماندلينا، الكريب فروت، الكباد.. الخ). وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها. تتزين أراضي شعب، وبشكل خاص في فصل الربيع، ببساط أخضر من نباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان، بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور، بينما تنقل الرياح هذه الروائح إلى مسافات بعيدة. وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً وردية مائلة إلى البياض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة يتغذى برحيقها الفواح. تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها. ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن، فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات. وقليلاً ما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة. ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها.

الحيوانات البرية

إن طبيعة أراضي المنطقة من تربة ومناخ وتباين في التضاريس، هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية. وقد استطاع العلماء تصنيف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها الآن. ومع ذلك، فإن بعضاً منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة، منها على سبيل المثال:

طيور الحجل والشنار :ويعيش في المرتفعات بين الأحراش وأشجار السريس والسنديان. وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين، وكان بعض الصيادين يأخذون فراخها ويدجنونها في البيوت ضمن أقفاص. ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها "ستيتية". لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً. لها صوت عذب عندما تصدح باكراً. تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون. وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة. لحمه قاسٍ، ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة، تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة. حجمها متوسط ولحمها طيب، يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع في المطاعم.

السمن والفري :وهو طير مقيم في كثير من الأحيان، ويعيش بين جذوع الشجر الملتف. ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ والنقيفات. وهذا الطير متوسط الحجم، لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي :ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة، وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ.

الهدهد :طير موسمي يكثر في الربيع والخريف، جميل المنظر، له عرف على رأسه. وصيده غير محبب لقلة وجوده أولاً ثم لاتجاهات دينية ثانياً. وهناك من الطيور الشائعة مثل البلابل والدوري والكركس والآمي والسنونو الخ... وهناك الطيور الجارحة مثل (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف :توجد مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي والذئب وغيرها) بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن، كما حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافذ والخلد والسحالي والسلاحف والحراذين)، ومن الحيوانات البرية التي يؤكل لحمها: الغزلان والأرانب، وهي تعيش في بيئة صالحة. كما كانت كلاب ترافق الرعاة مع مواشيهم.

الماعز :كانت المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشكل كبير في أراضي الرامة، لكثرة المراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال. والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له، لذلك نرى أعداداً منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام :وتأتي الأغنام بعددها وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها. ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن، وتدر على أصحابها المال الوفير. ولم أعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في الرامة منذ زمن بعيد. إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكرات إلى جانب الذخائر والجنود، هذا في الحروب. وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر. وظلت المواصلات قائمة حتى اليوم، فالسيارات على أنواعها تمخر طرقاتها ليل نهار تعد بالمئات يومياً، والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تطورت من قرية متواضعة إلى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات البلدات.

الحيوانات المدجنة

الحمير والخيول والبغال :لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود. وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة. ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار :وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية. والحظائر العصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية. وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل. وكلما تطورت العناية في التربية كلما زاد الإنتاج جودة وقيمة، وهذا متوفر لدى بعض السكان في البلدة.

النحل:ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ وكثرة أشجار، كلها ساعدت على وجود النحل في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان. وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين، إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد إلى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية، ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها وقال عنها إنها أرض الخمر والعسل. وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية النحل بالطرق القديمة، وقد تطورت الآن إلى أساليب حديثة تدر أموالاً على أصحابها. إن العسل المنتج أيضاً يضاف إليه.

الدواجن: إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام بتربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض. ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام، وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان، فيبيع البيض والحمام والأرانب إلى باعة متجولين يأخذونها إلى أسواق المنطقة في المدن أو عن طريق المقايضة المحلية.لقد كان الفلاح في بلدة مجد الكروم وضواحيها يعتمد كلياً في طعامه على الحمام، ولم يخل بيت في البلد من طيور الحمام التي كانت تكفيه من لحوم أفراخها (زغاليل) المشهورة بلذة طعمها في طبخات متنوعة (الملوخية، شوي، ومحشية بالرز، مقلية تغطى على الرز والمنسف). كما يدخل الحمام وفراريج الدجاج في المسخن (المحمر)..الخ.

وعلى هذا، كان الإنتاج الحيواني يكفي حاجة السكان، والفائض يعد للتصدير. أما الحليب، فقد اعتاد الناس في البلدة، وبشكل خاص أصحاب المواشي، تحويله إلى ألبان (جبنة، لبن مجفف، زبدة، سمنة)، ويصدر الباقي إلى أسواق عكا، إذ تدر على أصحابها المال الوفير لشراء ما يلزم من معلبات وسكر وقهوة وألبسة ونفقات أخرى لتحسين حياة أسرته.

المراجع:

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
(2) بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 399، مصطفى الدباغ.
(3) نفس المرجع، ص 400.
(4) نفس المرجع، ص 401.
(5) النباتات الطبيعية والطبية في بلاد الشام، أحمد عويدات.
(6) الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام، وصفي زكريا.
(7) مركز يافا للإحصاء عام 1990.

الفصل الثاني: لمحة تاريخية

كان لموقع الرامة، منذ فجر التاريخ، دور بارز في حركة المواصلات بين الساحل الغربي ومناطق الداخل. يؤمها التجار والرحالة والمسافرون إلى جانب القوات العسكرية على مر العصور، إذ كانت القوافل المحملة بالعتاد والمؤن تحملها الجمال والبغال والحمير، ثم العربات والسيارات في هذه الأيام. تحمل البضائع القادمة من مصر براً، والقادمة من شمال أفريقيا ودول أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، قاصدة الشرق نحو سورية والعراق.

وقد عُثر على مغاور كثيرة فيها عظام بشرية تُعرف باسم "مغاور الحمام"، يعود تاريخها إلى خمسين ألف سنة، وهي آثار الإنسان القديم. وقد وسّع الإنسان هذه المغاور التي حفرتها المياه بفعل التعرية والحت الكيميائي، والذي يُدعى بالحَتِّ الكارستي (في الحجر الكلسي). ويتم ذلك عندما تنزل الأمطار على الجبال والهضاب المكونة من صخور كلسية، فيمتص الصخر المياه كالإسفنج، وتأخذ المياه بتحليل الكلس وتحدث تجاويف في الصخر تتسع مع الزمن وتمتلئ بالماء. وعندما تصل إلى طبقات كتيمة (غضارية) تستقر وتأخذ بالاتساع فتكون خزانات في جوف الأرض، وتخرج على سطح الأرض لتشكل الينابيع، مثل نبع الكابري الذي تصل مياهه إلى مدينة عكا. وينطبق هذا على كل الينابيع في العالم، وكانت ينابيع الرامة دليلاً على وجود محطة للقوافل يستريحون فيها عبر الزمان، ولا تزال.

كانت المنطقة جاذبة للسكان، وقد عثر علماء الآثار على الكثير. حيث يعرف إدوارد روبنسون الرامة بأنها "رامة عشير" المذكورة في سفر يشوع، مشيراً إلى موقعها والتابوت القديم الذي اكتشف على تل خارج القرية كدليل. وقد ذكر المنقب غاري لوفنسون أنه عثر في عين الأسد وحولها في منطقة الأزرق في الأردن على أدوات مصنعة من حجر تعود إلى ما قبل 150 ألف سنة مضت، وعددها يزيد عن 500 قطعة في مساحة لا تتجاوز 50 متراً مربعاً، استُعملت لذبح الحيوانات المصطادة وتقطيعها. ولن نستطرد في نشاطات الإنسان الحجري، وإنما يعنينا الفترة التي عاشها أجدادنا الكنعانيون في فلسطين ونشاطاتهم قبل 3000 عام ق.م.

ووُجدت آثار هياكل بشرية في رسوبات العرق الأحمر جنوب غرب مصب اليرموك في نهر الأردن، ويعود تاريخ هذه الآثار إلى 600 ألف سنة ثم إلى 700 ألف سنة.[1]

1) **الزراعة** :مارس الكنعانيون زراعة الزيتون والكروم. وقد عثر علماء الآثار على صهاريج وحفروا الصخر لعصر الزيتون والعنب في بعض الخرب في الجليل الأدنى. وقد حُفرت أنصاف دوائر في الصخر، عمق الواحدة 20 سم، وبجانبها حجر مصقول بشكل كرة لهرس الزيتون والعنب. وقد وصف طبيب أخناتون المصري، سنوحي، نشاطات السكان (الكنعانيين) في صناعة الخمور وإبداعاتهم فيها. وكان يتنقل بين المدن والقرى يعالج الناس مجاناً، فأحبه الشعب وأكرموه. ولما رجع لم ينسَ هذا الجميل وذكرهم في كتاباته، ويذكر أنه تزوج كنعانية وله أولاد عاشوا في كنف الكنعانيين حوالي 1500 سنة. ومن أقواله: "أدناهم مليئة بالنبيذ، شرابهم للنبيذ بدل الماء."

كما زرع الكنعانيون التين، وكانت محاصيله من جملة المحاصيل المهمة، وكانوا يجففونه ويدخرونه كما نفعل هذه الأيام. وقد جففوا العنب لصنع الزبيب.

الرمان: وكانوا يستخرجون من عصارته نوعاً من الخمر، كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره. ويذهب البعض إلى أن الهكسوس هم الذين أدخلوا زراعته من فلسطين إلى مصر، إلى جانب الخيول والعربات التي تجرها الخيول.

الجميز: ما زال من الأشجار المعروفة، وكان يكثر في الغور وقد قلت زراعته. وهي أشجار صلبة، خشبها من أجود الأخشاب، وكانت تُقدس في مصر وبلاد العرب.

اهتم الكنعانيون بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً، حتى سُمي وطنهم "الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً". وقد وصف المصريون خيرات فلسطين الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم: "كانت بساتينهم مليئة بالفواكه، ووجدنا أنبذتهم (خمورهم) في دنانها كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ."

استخدم الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر. بعد أن جلب سكان بحر إيجة معهم صناعة الحديد، أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث الخشبي (شكل 1) والذي تجره الحيوانات. ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل أنواعه، ثم الزجاج بكل أشكاله ونماذجه.

لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها. كما قام الفينيقيون، وهم كنعانيو الأصل، بتجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفتها. واحتكر الفينيقيون صناعة الأصبغة التي استخرجوها من قواقع الأصداف الموجودة على نهر مصب نهر النعامين، يستخرجون مادة أرجوانية اللون تدخل في صباغة الأقمشة القطنية والكتان والحرير.

المحراث الخشبي

بكل الفنون التي لم يعرفها أحد قبلهم. ومع أن الفترة الكنعانية التي مرت بهم في فلسطين كانت طويلة، فإن الاستقرار لم يدم، ولم يتسن للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليم لتكوين دولة. إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسة للعالم القديم، وأن كل

الغزوات لمصر تأتي منها، لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم. وهذا ما حدث فعلاً، إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة. ولما جاء داود وأسس مملكته، لم تبق مستقلة سوى فترة حكمه وولده سليمان، ثم عادت لتتبع الحكم المصري.

تعرضت فلسطين لمرور الجيوش الجرارة من كلدانيين وآشوريين وبابليين وحثيين. وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة، وتلاقت الثقافات من لغات آرامية وسريانية وهيروغليفية وعبرية، ثم الإغريقية واللاتينية. وبعد ظهور الإسلام أصبحت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية. وما يهمنا هو ما ازدهرت به منطقة الجليل الأدنى في عهد صلاح الدين الأيوبي، إذ اتخذ بلدة شفا عمرو مركزاً لقواته، وكان سكان المنطقة يقدمون المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات، مما حرك التجارة وأنعشها في تلك الفترة وللخلافة العثمانية أثرها على الفلسطينيين خاصة والمناطق العربية عامة.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسو الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية، وأخيراً الحرية والديمقراطية. فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة. وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وآباراً محفورة لم يحفروها، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة، واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال صناعة الفخار والخبز بالتنور، وصنع الخمور، وتربية النحل، وصنع الثياب. إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص، كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص". ويواصل غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية.[2]

ويواصل غوستاف لوبون قائلاً: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري، واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية، ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ. ولما صارت لليهود مدنٌ في نهاية الأمر، بعد أن كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، فقد اضطروا في أيام حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج، فجلبوا البنائين والفنيين والعمال، ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد، عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي. إذ تغيرت أثناءها أحوالهم، ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثرهم وتخلقهم بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولد عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم".

ويقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في

أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرية المقدسة ورقاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني." ويواصل حتي: "أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس، إله الخصب. وكان الرجل يقطع حَشَفَته ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تُفضّ بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً. فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم".[3]

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية، إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين" لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكن الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى، وهم يعترفون بذلك وقد عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه. إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة.

أما الآن، فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والإمبريالية الأمريكية.

وفي العهد اليوناني :قام القائد الإسكندر المقدوني بحروبه لاحتلال بلاد الشام، وقضى على إمبراطورية الفرس، ثم دخل مصر وبنى مدينة الإسكندرية. وبعد موته تقاسم الحكمَ بعده بطليموس في مصر وسلوقس في بلاد الشام. وقد تركوا حضارة جديدة قبل حكم الرومان تُدعى بالحضارة الهلنستية.

- **جاء الرومان وقسموا البلاد إدارياً إلى ثلاثة أقسام:**

(شكل 6) تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام إدارياً: كانت منطقة الجليل من المراكز التجارية الهامة زمن الرومان، إذ كانت الرامة تعبرها القوافل لوجود الخانات وينابيع المياه، وكانوا يسمونها "رامات" أي بمعنى الحصن.

شكل (6)

- **التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي**

وفي العهد الإسلامي كانت منطقة البيرة ورام الله ضمن جند الأردن. وفي عام 1099م وقعت تحت حكم الفرنجة، وأصبحت رام الله تحت حكم الصليبيين مستعمرة زراعية وسموها "رماليا"، حيث يوجد بقايا برج صليبي في البلدة القديمة. وقد حررها صلاح الدين الأيوبي عام 1116م.

شكل (7)

الفترة العثمانية

في عام 1517 انضمت الرامة مع بقية فلسطين مدمجة في الدولة العثمانية، بعد أن تم الاستيلاء عليها من قبل المماليك. وبحلول عام 1596 كانت القرية تحت إدارة ناحية عكا، والتي كانت جزءاً من سنجق صفد. وبلغ عدد سكانها 96 أسرة، وكان جميعهم من المسلمين. ودفع سكان القرية الضرائب على غزل الحرير، والماعز، وخلايا النحل، والمعاصر التي استخدمت لتحويل الزيتون أو العنب، بالإضافة إلى دفع مبلغ ثابت، ما مجموعه 2,1986 آقجة. ذهب نصف العائدات إلى الوقف. ولا حاجة لبحث بلدة في ظل الحكم العربي الإسلامي لأنها حُكمت كما حُكمت البلاد التي أصبحت تحت الإمبراطورية الإسلامية.

إذ كانت الفترة (1516-1918م) وهي نهاية العهد المملوكي، حيث كانت المناطق الواقعة إلى الشمال والشرق في بلاد الشام والعراق باتجاه الأناضول وشرقها، منذ مطلع القرن السادس عشر، يسودها صراع على القوة بين قوى ثلاثة: الدولة العثمانية المتمركزة في إسطنبول والتي امتد نفوذها على البلقان والأناضول خلال قرنين من الحروب والتوسع، والدولة الصفوية الناشئة والقائمة في تبريز والتي حاولت التوسع بدورها وتستقطب القبائل التركمانية التي تعد من عماد قوتها، ثم السلطة المملوكية الهرمة والتي كانت تحكم من القاهرة وتعاني الكثير من الضعف. وكانت المعركة الفاصلة الأولى بين هذه القوى المتصارعة بزعامة السلطان سليم الأول والدولة الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل في (جالديران) قرب تبريز في 2 رجب 920هـ الموافق 1514م، وانتصر العثمانيون باستخدامهم للأسلحة النارية. وبعد عامين انتصر العثمانيون في معركة مرج دابق في 23 آب 1517م الموافق 22 رجب 922هـ. كانت هذه المعركة نهاية سلطة المماليك.

إن ما يهمنا هو دراسة المنطقة في العهد العثماني، لما تركه هذا الحكم خلال أربعة قرون من الزمن سادها التخلف والفقر، وقضى على ما نصت عليه الشريعة من أحكام، وكثرت المنازعات والخلافات بين العشائر والعائلات في حفظ الطرق والمدن ثم جمع الضرائب للباب العالي. وقد تطور هذا السلوك في الحكم إلى فساد الأخلاق، وكثرة التمرد، وانتشرت الفوضى، وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من إنتاج زراعي وحيواني. حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه، مثلما حصل مع ظاهر العمر.[4]

وقد اهتمت السلطات بهذا الأمر وأعطته أهمية كبرى للسيطرة على حكم البلاد أولاً، ثم وضع الضرائب التي تجمعها عن طريق الملتزمين من زعماء القرى والمدن، التي أطلقت الدولة أيديهم في جمع الضرائب وحماية الطرق واستتباب الأمن. وكان لهذه الإحصاءات أثر في معرفة النمو السكاني منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما صرنا نعرف عدد (المسلمين-المسيحيين-اليهود) في البلاد وتوزعهم.

اهتمت الدولة العثمانية في أول عهدها بتعداد السكان، واعتمدت في تقديرات التعداد على إحصاء البيوت في القرى والمدن وضرب عدد البيوت × 5 أفراد، باعتبار متوسط الأسرة في البيت خمسة أشخاص. وبعد صدور فرمان الإصلاح عام 1858م، فقد حاولت الدولة حفظ الأمن وفتح المدارس في بعض القرى الكبيرة. كما أن السلطان عبد الحميد الثاني، الذي استلم الخلافة عام 1876م،

أصدر فرماناً يحرم فيه بيع أي شبر من أراضي فلسطين. ولكن الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار استطاعت بطرق ملتوية واستغلال القنصليات الأجنبية شراء أراضي في فلسطين بلغت مساحتها 30 ألف دونم.

1) **بتاح تكفا:** ومعناها (باب الرجاء)، أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي ملبس قرب يافا. وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالكها اللبناني (تيان).
2) **ريشون لتسيون:** أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي (عيون قارة) العربية، وتبلغ مساحتها 2340 دونماً. حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية. فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليفونتين) شراءها، لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً إلى قرار السلطان بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود. فقام القنصل البريطاني في يافا، وهو الحاخام أمزيليغ، بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصل بريطانيا بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد، وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة، وأقاموا عليها مستعمرتهم "ريشون لتسيون."
3) **مستوطنة روشبينا:** أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد، فريدمان وفشتاين، من ضمن أراضي قرية الجاعونة، سبق أن ابتاعها من مالكها اللبناني ثم باعها إلى روتشيلد عام 1882م، حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.
4) **زخرون يعقوب: (زمارين)** أقيمت عام 1882م على قطعة أرض مساحتها 5000 دونم، اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين، وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا. وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير إلى معامل الخمر. وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية. وزخرون يعقوب هذه سُميت على اسم جيمس يعقوب روتشيلد، ترتفع عن سطح البحر زهاء 170 متراً.
5) **مستوطنة نس تسيونا** :أقامها الصهاينة عام 1883م على مساحة 2000 دونم من سهل الحولة، اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو، وسبق له أن ابتاعها من مالكها اللبناني (تيان). وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.
6) **مستعمرة المطلة:** أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي قرية عقرون قرب يافا، واشتروا أراضيها من مالكها اللبناني (تيان).
7) **مستعمرة عكرون: (مركز بيت بانيه)** أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي مقرون قرب يافا، واشتروها من مالكها اللبناني (تيان).
8) **مستوطنة غديرا:** أقاموها عام 1884م على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة، اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.
9) **مستوطنة مائير شفياه:**أقامها الصهاينة عام 1887م قرب يافا، واشتروا أرضها من مالكها اللبناني (تيان).
10) **مستوطنة شلومو:** أقاموها عام 1889م على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب، والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.
11) **مستوطنة الخضيرة:** أقاموها عام 1890م على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.

12)**مستوطنة شافية:** أقاموها عام 1889م على أراضي زخرون يعقوب.

13)**مستوطنة دجانيا (دغانيا):** أقاموها عام 1890م، اشتروها من مالكها اللبناني (تيان) جنوب حيفا.

14)**مستعمرة مشمار هايردن:** اشتروها من ملّاكها اللبنانيين قرب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسر بنات يعقوب.

15)**مستوطنة سوتا (طحتيم):**أقيمت عام 1894م قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتاغيو).

16)**مستعمرة غان شموئيل:** أقاموها عام 1894م. وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن حتى عام 1918م، وهو تاريخ الانتداب. للصهيونية أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي، وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها، وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية، حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني. وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقدم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافي بترول ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي، وطرق معبدة وخطوط حديدية لم توجد مثلها في الشرق الأوسط، وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين، دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أَزِفَتْ بريطانيا المجرمة بوعدها المشؤوم، وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها، ليس حباً باليهود بل كرهاً للعرب.

المراجع:

(1) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة.

(2) تاريخ سورية القديم ج1، فيليب حتي.

(3) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة العارقي.

(4) تاريخ الحضارات، د. جورج حداد.

(5) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ج2، د. عبد الكريم رافق.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية في بلدة الرامة

الزراعة

تملك الرامة أراضي مساحتها 24,516 دونماً. وقد استولت السلطات الإسرائيلية على 8000 دونم من أراضي الرامة، ويملك الأهالي الآن 16000 دونم زراعي، منها 7000 دونم سهلية و9000 دونم جبلي، غالباً ما تزرع بأشجار الزيتون[1]، ويقدر الأهالي عدد العاملين بالزراعة بـ 150-200 مزارع.[2]

ويزرع الفلاحون الحبوب بأنواعها من قمح وشعير وذرة ثم السمسم، إلى جانب البقول من عدس وفول وبازيلاء، إلى جانبها الخضار من ملوخية وبامية وبازيلاء. وكل هذا يكفي حاجة السكان ويفيض في كثير من الأحيان للتصدير. إذ تزرع الحبوب في أواخر الخريف وتحصد في أيار وحزيران، بينما يبدأ قطف الزيتون في مطلع تشرين الأول. وقد كان إنتاج فلسطين من الزيتون عام 2014م 80000 طن، منها 38200 طن للرامة وحدها. لقد أبدع المزارع الرامي في استغلال الأرض وتوظيفها لحاجات العصر، فأنشأ المصاطب الزراعية على منحدرات الجبال وزرعها بأشجار الفاكهة من لوزيات وتين وكرمة ورمان. وفي بعضها الآخر تم بناء البيوت البلاستيكية النموذجية، فزراعة الأزهار والورود للتصدير، كما زرع الخضار بأنواعها وأعطته ضعف الإنتاج وأجود الأصناف، أغلبها للتصدير. كما ربى النحل بطرق علمية جيدة وأقام بيوتاً للنحل قريبة من أشجار الحمضيات، وخصص لها مساحات من الأراضي زرعها بنباتات عطرية كاليانسون والورود، إلى جانب بيوت المناحل المزودة بماء السكر الذائب وخاصة في الشتاء، حيث يركد النحل ويجد طعامه.

لقد حاول المزارع في الرامة زراعة التبغ قبل الانتداب وبعده، وكانت زراعته مقصورة على الخبراء من الأسر. وثمن التبغ غالٍ عن غيره، لذلك حاول ظاهر العمر استثماره لصالحه وإجبار المزارعين على جلب المحصول وهو يعطيهم الثمن، وكذلك القطن. وقد فعلت الدولة العثمانية بإجبار المزارعين توريد التبغ إليهم وقبض الثمن الذي يقره الملتزم. أما في زمن الانتداب البريطاني، فقد كان معمل التبغ والتنباك في بلدة أبطن قرب حيفا هو المصنع الوحيد لصناعة السجائر في الشرق الأوسط، وأصحابه عرب، واسم المصنع (كرمان ودبك). وكان المصنع له صيت كبير، لكن سلطة الانتداب البريطاني، بأمر من المنظمات الصهيونية، أخذت تضع العراقيل واحتكرت زراعة التبغ وتحكمت به، ثم أغرقت الأسواق بسجائر التبغ التي تنتجها المصانع البريطانية، مما جعل مصنع التبغ العربي يتداعى وينهار.

تعددت مصادر حاجة المزارع الرامي ووظفها لصالحه، وحصل بالتالي على الأجر المناسب لحياته وحياة أسرته. كانت ربة البيت في بلدة الرامة قبل ستة عقود تقوم في الصباح الباكر تفتح باب "الخُم" (وهو بيت الدجاج) تعلف الذرة أو الحنطة لطعامه وتنظف داخله من الأوساخ، إلى جانب تفقد الثياب وغسلها وتنظيفها، وتتفقد بؤر الحمام وأخذ الفراخ إن كانت بحاجة إلى طبخة باللحم.

وتقوم بعدها بعجن الطحين بالماء، ثم تغطي العجين حتى يختمر، وتذهب إلى "الطابون" أو "العَرَصَة" عند سكان صفد وضواحيها، وهو عبارة عن بناء يشكل قبة قطره 60 سم وارتفاعه كذلك. له فتحة واسعة يقسم بالداخل إلى قسمين يفصلهما لوح معدني (صاج) مثقوب من طرفه ليخرج لهب النار في الموقد السفلي. وهنا يتم خبز العجينة، إذ توضع الأخشاب في الأسفل ثم توقد النار،

وعندما يبدأ اللهب بالسخونة يحمي لوحة الصاج، فتضع المرأة العجين بعد هرسه بالشوبك أو مطه باليد بحركة يلعب الهواء في تمدده واستدارته، ويوضع الرغيف في الفرن حتى ينضج ويسحب ويوضع غيره، وهكذا. كانت المرأة في الماضي تشارك الرجل في فلاحة الأرض من زرعها وريها وإزالة الأعشاب الضارة، ثم في الحصاد أيضاً.

الصناعة

كانت الصناعة فيما مضى متأخرة. وكان يوجد في القرية حداد يقوم على صنع حدوات الخيول والسكاكين من قطع الحديد، كما كان يصنع سكة المحراث التي تلبس السكة الخشبية للمحراث، والسكاكين والسيوف في بعض الأحيان، وكان يصنع مقابض الخناجر والأمواس من قرون الخرفان والماعز.

وكانت الحرفة الثانية في القرية هي صناعة الجلود، إذ كان صانع الجلود يصنع الأحذية ومركوب الخيول، وكانت شائعة في المدن لكنها كانت موجودة في القرية بشكل بدائي. يرافقها صنع مركوب الحمير المصنوع من نسيج الخيش (خيوط قنب منسوجة)، وهي الشائعة في كل فلسطين، إذ كانت المواصلات تقتصر على الدواب، أكثرها الحمير، لذلك كثرت هذه المهنة لأنها تقتصر على الخيش والقش، وهو رخيص في ذلك الزمان.

أما في الوقت الحاضر، فقد تطورت الأحوال وبات أهل الرامة يحيون حياة المدن بكل ما فيها من صناعات حديدية وأخشاب وألومنيوم وبلاستيك. وقد دخلت الكهرباء وشبكة المياه القطرية والهواتف والإنترنت. وفي قطاع الصناعة والورش تنشط 22 وحدة ومصنعاً وتشغل 141 عاملاً، غالبيتهم من الذكور الذين يعملون في فرع البناء والحديد والصلب. وهناك ورش معاصر الزيتون والورش المهنية الأخرى. كما توجد مشاغل الخياطة التي تعمل بها النساء بشكل خاص. ويقدر الأهالي توزيع الأيدي العاملة في بلدة الرامة كالتالي:

- 30%موظفون
- 15%عمال مصانع
- 25%عمال أجيرون في الفروع الأخرى
- 30%مستقلون(2) .

لقد أقيمت في بلدة الرامة بعض "المِكَالِس" (صنع الكلس) المستخرج، يشوي حجارة الصخور الكلسية وذلك بحفر الأرض على عمق نصف متر بقطر مترين أو ثلاثة أمتار، وتبنى الحجارة حول الحفرة لتشكل صومعة من الحجارة قلبها أجوف، توضع فيه فروع الشجر والورق والأغصان ثم توقد بشعلة من نار، وبالتهام الخشب ويحرق الحجارة، وبعد أن يتحول اللهيب إلى دخان، تطمر القبة بالتراب وتبقى القبة مشتعلة ببطء. في اليوم الثاني تكون القبة قد بردت، فيزاح التراب عن القبة ونحصل على صخور كلسية خالصة لا يمكن استخدامها إلا بعد وضع الصخور "الحية" بالماء حتى تفقد حرارتها، ثم تعبأ بأكياس من القنب وتخزن في مناطق جافة.

كما توجد عدة مقالع لصنع الفحم يختص بها الحطابون صناع الفحم، وما أكثرهم في الجليل. ولعمل "المِشْحَرَة": تحفر حفرة واسعة بالأرض على عمق نصف متر، ويقطع الخشب من الأحراش ويحزم ويرتب حول الحفرة بشكل هرمي، ثم توقد تحته النار فيشتعل الخشب من فروع وأغصان، وعندما يبدأ اللهب يتصاعد تطمر القبة بالتراب حتى يتحول اللهب إلى دخان، يترك لليوم الثاني، فيزاح التراب ويجمع الفحم بأكياس جافة وتخزن بعيدة عن الرطوبة.

التجارة

كانت التجارة في القديم محدودة تقتصر على الجوار من القرى عن طريق المقايضة، أي تبادل الزيت بالبقول أو الحبوب الأخرى من طحين وشعير وذرة أو عسل. وفي بعض الأحيان كالمتجولون من الباعة يجوبون البيوت والحارات لشراء البيض والزغاليل والفراخ والأرانب مقابل النقود، وهو المصدر المالي الذي يمكّن رب الأسرة من شراء الملابس وغيرها من نفقات. بينما كانت الحبوب تدر مبالغ من المال كبيرة تكفي لسد حاجات الأسرة وتزيد.

بينما في الوقت الحاضر نرى التجارة نامية متنوعة وسريعة، بفعل المواصلات الحالية وسهولة الحركة وتقريب البعيد. وصارت الأسواق تعج بالملابس وأثاث البيوت ومحلات الأحذية والحبوب والطحين والبقول، وباتت المجمعات التجارية الكبرى (السوبر ماركت) تحوي ما يطلبه المتسوق من مواد، تجد كل حاجة من لحوم غنم وبقر ودواجن، وكلها محفوظة بمواد بلاستيكية تحفظ في الثلاجات تدوم لوقت طويل، وغيرها من الخضار والبقول والملابس وأدوات المطبخ والجلود.

وقد ساعد على تسهيل التجارة وجود ذلك: مصرفان، و84 محلاً تجارياً نصفهم في مجال المأكولات والمشروبات، و14 مكتباً مهنياً في الهندسة المعمارية والحسابات والتأمين.[3]

التربية والتعليم في قرية الرامة

لقد باتت بلدة الرامة من أهم بلدات فلسطين بالثقافة والتعليم لأسباب كثيرة، تتجلى بما يلي: أنشأ الروس (الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية) في العهد العثماني مدرسة في الرامة بمستوى (الرشيدية)، ضمت في عام 1918م (1319هـ) 150 طالباً. وقد لعبت المدرسة دوراً بارزاً في رفع مستوى النساء التعليمي في المنطقة.

وفي عام 1912م كان للكاثوليك مدرسة لأبناء طائفتهم. وفي عام 1942-1943 كان في الرامة مدرستان: واحدة للبنين وهي ابتدائية كاملة، والثانية للبنات أعلى صفوفها الخامس الابتدائي.[4]

لقد كثرت المدارس الرسمية، إذ توجد مدرستان ابتدائيتان كاملتان، واحدة للذكور وأخرى للإناث. وهناك مدرستان للإعدادي إحداهما للذكور والثانية للإناث، وكذلك المرحلة الثانوية للذكور واحدة والأخرى للإناث. وهناك مدارس خاصة تضم المراحل التعليمية كلها، إلى جانب بعض المعاهد والكليات التي بدأت نشاطاتها تقترب من مستوى الجامعات. وكانت الرامة زهرة الجليل ورائدة التعلم والتعليم فيه. وكان المتعلمون في العهد العثماني فيها الكثير، بينما كنت تدور وتقطع المسافات لترى واحداً يقرأ لك رسالتك في كل

القرى المحيطة بالرامة. إذ كانت في الرامة عام 1818م مدرسة للبنات، بينما لم تفتح أي قرية في قضاء عكا أية مدرسة للإناث حتى عام 1940م.

وبقي التعليم في فترة الانتداب البريطاني هزيلاً خلال الثلاثين عاماً من حكمهم لفلسطين، منذ دخولهم عام 1918م (وقد ورد 1928م خطأً، والصحيح مع نهاية الحرب العالمية الأولى) حتى خروجهم عام 1948م. لم يدخلوا الكهرباء، وكانت جميع قرى فلسطين وبيوتها تضاء على السراج، وهو فانوس زجاجي يتألف من حوض زجاج يعبأ بالزيت أو الكيروسين (الكاز)، وله فتحة بالأعلى يركب فيها رأس مصنوع من النحاس تخرج منه فتيلة سميكة من القطن تتوجها زجاجة شفافة تعكس الضوء وتضيء الغرفة أو المكان، بينما كانت الكهرباء تعم المدن بشكل عام.

السياحة

تتمتع بلدة الرامة بكل مقومات السياحة في طبيعتها الخلابة من أحراش وغابات الزيتون، إلى جانب الطقس الجميل ووفرة العقول والأيدي العاملة، ومال المغتربين في توظيف أموالهم في مشاريع تزيد من تطور بلدتهم، مثل بناء المشافي والمصحات والفنادق، وشق الطرق، وتدريب الكادر اللازم لها. ومثل هذه المشاريع تدر على المساهمين أموالاً طائلة ترفع من شأن البلدة وسكانها.

كما أن هناك مشكلة التصريف الصحي المزمن، والذي تعالجه التقنيات الحديثة بإنشاء معامل التصفية والتحليل، والاستفادة من الفضلات الصلبة على أساس استخدام الطاقة الشمسية، وقد باتت شائعة هذه الأيام. وإني ألتمس من المجلس المحلي أخذ مثل هذه التوصيات، مع العلم الأكيد أنه يعرفها، لكني أحرض حماسته في تنفيذها.

إن استغلال الطاقة الشمسية بات شائعاً وعاماً هذه الأيام، لسهولته ونظافته وتعدد توظيفاته. وهو أحلى وأغنى المشاريع في توليد الكهرباء وتشغيل المعامل، وصناعة الأسمدة الآزوتية، وصناعة البلاستيك والألومنيوم والحديد وغيرها من الفضلات. كما تؤخذ المياه المصفاة إلى المزارعين لري مزروعاتهم.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية.
(2) ويكيبيديا.

الفصل الرابع: أعلام بلدة رامة الجليل

المثقفون كثيرون، أذكر القليل منهم وهو ما استطعت معرفته من أعلام فلسطين:[1]

سلمان يوسف فراج (1360هـ – 1941م): شاعر، قاص، باحث

ولد سلمان يوسف فراج في قرية الرامة (الجليل) سنة 1941م. أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الرامة، ثم التحق بدار المعلمين العربية في يافا فتخرج فيها سنة 1962م. ثم حصل على اللقب الجامعي الأول في اللغة العربية وتاريخ الشرق الأوسط من جامعة حيفا. وعمل معلماً ابتدائياً من عام 1964م، ثم محاضراً مساعداً في الجامعة، ومدرساً في مدرسة الرامة الثانوية، ثم عمل مفتشاً في وزارة المعارف. وهو عضو في الاتحاد العام للأدباء وعضو سابق في سكرتارية رابطة الأدباء الفلسطينيين. نشر قصائده وقصصه القصيرة ومقالاته في الصحف والمجلات الفلسطينية. أثناء عمله التحق بجامعة حيفا وحصل على اللقب الأول عام 1972م في موضوعي اللغة العربية وتاريخ الشرق الأوسط. وفي عام 2002م حصل على اللقب الثاني في الأدب العربي من جامعة حيفا. وواصل العمل مفتشاً مركزاً للغة العربية في المدارس الدرزية والمختلطة، ومحاضراً في الكلية العربية للتربية في حيفا، حتى خروجه للتقاعد عام 2007م، وهو العام الذي توفي فيه.

من شعره:

(ثرثرة من حرير)

سؤال صغير يربطنا إذ..تعب الصواري هواها. ويرهقنا في حواري الأمور الصغيرة ونحن مرايا الأمور الصغيرة، كبرنا بها من الزمان، أمور صغيرة، أمور تمر وتسفر فيما عداها أمور وتسفر فينا، تشدد خطانا، ولكننا...

لا نكل وراء سؤال صغير نسأل: كيف نحد؟ وكيف نمد؟ وكيف نطير؟

وكيف نرصع أيامنا "بالخميرة"

ومن سقفنا تتدلى أمور كثيرة

أمور تمور وتملؤنا بالرخاء

وتنشرنا بالفضاء

أمور صغيرة

عيون ترف لنا

وأنامل ترهقنا، واحتراق، ورجع تلاوة فجر تطيب قهوتنا وانعتاق مع الشمس ينساب عبر الدهور إلى زمننا واشتياق وألف اشتهاء، وألف غرور، ألف غرام يعبنا بالحياة ويبعثنا كالطيور، ندور على محور لا يدور ونسأل ماذا؟ ونسأل كيف؟ ومن أين هذي الأمور الصغيرة ترف علينا؟ ونبحث عما وراء الصخور فيهبث طعم الأمور وإني مللت السؤال مللت خرافته المستديرة، يد في يدي أهتدي لكل كنوز الجزيرة وترقص حولي أمور صغيرة أمور أثيرة ترصع فوق جداري "الخميرة.

من مؤلفاته:

- نقوش عبر الإطار (ديوان شعر)، 1992.
- ظل الصوت.
- المنتخب من الأدب العربي ونصوصه.

سميح القاسم (1358هـ – 1939م): شاعر

ولد سميح محمد القاسم في قرية الرامة الجليل، والتي تبعد عن عكا 29 كم، وعن الناصرة 40 كم. أنهى دراسته الابتدائية في قريته الرامة، والثانوية في كلية "تراسنطة" في مدينة الناصرة. بعد تخرجه عمل في سلك التعليم لمدة خمس سنوات، ثم عمل في الصحافة مع مجلة أسبوعية كان يصدرها النائب في الكنيست أوري أفنيري، ومنها انتقل إلى العمل في تحرير مجلة "الغد" وجريدة "الاتحاد"، ثم أصبح مسؤولاً عن التحرير في مجلة "الجديد" الشهرية. بسبب مواقفه الوطنية سجن واضطهد وجوع، لكنه لم يتخل عن فلسطينيته ووطنيته الصادقة وعنفوانه القومي. بل إن محاولات العدو لقهره وقتل الروح القومية التي تتأجج في نفسه وعقله، زادته قوةً وإصراراً وإيماناً بعدالة القضية التي يعمل لها. توفي في صفد عام 2014.

من مؤلفاته المطبوعة:

- مواكب الشمس (شعر)، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1958.
- أغاني الدروب (شعر)، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1964.
- إرم (سربيات)، أم الفحم، نادي النهضة، 1965.
- دمي على كفي (شعر)، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1967.
- دخان البراكين (شعر)، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1960.
- سقوط الأقنعة (شعر)، بيروت، 1968.
- ويكون أن يأتي طائر الرعد (شعر)، عكا، دار الجليل.
- إسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل (سربيات).
- قرقاش (مسرحية شعرية)، حيفا، دار الاتحاد، 1970.
- قرآن الموت والياسمين (شعر)، القدس، مكتبة المحتسب، 1971.

- عن الموقف والفن (نثر)، بيروت، 1970.
- الموت الكبير (شعر)، بيروت، 1972.
- ديوان سميح القاسم (سربيات)، 1970.
- مراثي سميح القاسم (سربيات)، حيفا، 1974.
- من فمك أدينك (نثر)، الناصرة، 1974.
- وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (شعر)، منشورات القدس صلاح الدين، 1976.
- ثالث أكسيد الكربون (سربيات)، حيفا، 1976.
- إلى الجحيم أيها الليلك (حكاية)، القدس، صلاح الدين، 1975.
- ديوان الحماسة (ج1، ج2، ج3، ج4)، عكا، 1978)، 1979، 1980، 1981.(
- في الأدب الفلسطيني (دراسة حتى 1948).
- حصان طروادة في الحركة الثورية.
- الصورة الأخيرة في الألبوم (رواية)، عكا، 1980.
- حركة الأرض، مسائل ناقصة في القصة الكاملة عكا، عربسك المغتصبة ومسرحيات أخرى، القدس، دار الكتاب، 1987.
- جهات الروح (شعر)، حيفا، 1983.
- الجانب المعتم من التفاحة، الجانب المضيء من القلب (شعر)، بيروت، 1981.
- أحبك كما يشتهي الموت (شعر)، عكا، 1980.
- قرابين (شعر)، لندن، 1983.
- كولاج (تعبيرات)، حيفا، 1983.
- الصحراء (سربيات)، عكا، 1984.
- برسونانون غراتا (شعر)، حيفا، 1986.
- لا أستأذن أحداً (شعر)، حيفا، 1986.
- سبحة للسجلات (شعر)، عكا، 1989.
- رحلة السراديب الموحشة (شعر)، بيروت، دار العودة، 1969.
- طلب انتساب للحزب (شعر)، دار العودة، 1969.

والشاعر سميح القاسم رئيس اتحاد الكتاب العرب في فلسطين.

من شعره، من قصيدة "أصوات من مدن بعيدة" يقول:

قومي اشهديني... صاعداً كالريح من كهفي الذليل

قومي اشهدي عيني، مصباحين في الليل الطويل

قومي فإني قادم.. جيلاً على آثار جيل

رئتي تمج غليلها الدامي، تبارك من غليل

ويدي على الرشاش ضاغطة.. ووجهي في الدخيل

قومي اشهديني صاعداً، تيار جاحمة أكول

قدمي على الأفعى، وثغري بين أزهار الحقول

آت أنا.. آت يضيء حنين أعوام سبيلي

آت لأحصد حنطتي، وأعيد ترتيب الفصول

آت.. قفي بالباب يا أمي، مباركة دخولي

ترف لديك العيش.. أرضي منه النزر القليل

إذا قتلت لديك يا أمي.. فيا ترف القتيل

قومي اشهديني نازفاً في الباب.. جذلان الوصول

أرثي دمائي منشداً.. سيلا.. وصلت الباب سيلا!

وطبعاً من أشهر قصائده "منتصب القامة أمشي"، التي تغنى بها الفلسطينيون.

كمال نجيب القاسم من قرية الرامة. صدر له: كتاب "كيف تحكم إسرائيل"، مطبعة دافار، تل أبيب، 1954.

مها رزق قسيس (1388هـ – 1969م): شاعرة ولدت مها رزق قسيس في بلدة الرامة عام 1969م. كتبت الشعر ونشرت قصائدها في الصحف والمجلات المحلية.

من مؤلفاتها:

- طقوس الهجرة (مجموعة شعرية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – رام الله، 2001.

- وطن مؤقت (مجموعة شعرية).

ناصر جرحس عيسى (1304هـ – 1887م – 1965م): شاعر، مربي

ولد ناصر عيسى عام 1887م في قرية الرامة الجليل. أنهى دراسته الابتدائية في المدرسة الروسية في قريته، ودراسته الثانوية في دار المعلمين الروسية بالناصرة. عمل مديراً للمدرسة الروسية في بينو (قضاء عكار – لبنان)، ثم انتقل مديراً للمدرسة الروسية في منيارة (قضاء عكار)، فمديراً للمدرسة الروسية في كوسيا (قضاء الكورة) في لبنان. عاد بعد ذلك إلى فلسطين فعين معلماً للغة العربية في عكا ثم في بيت لحم، وبقي عشرين سنة في عمله التربوي. أحيل للتقاعد عام 1943م، ولكنه ظل يعمل مدرساً للعربية في ثانوية عكا. وحينما وقعت النكبة الفلسطينية عام 1948م، التجأ إلى العراق وعمل أستاذاً للغة العربية في مدينة الحلة، وظل في عمله هذا حتى عام 1958م، حينما عاد إلى لبنان وأقام في مدينة طرابلس. كتب الشعر، وطرق أغراض الشعر المتنوعة، ويقال إن الشاعر اضطر إلى إحراق قصائده، إيماناً منه بعدم قيمة الكلام بعد فقدان الوطن.

من شعره: (ذكرى اليرموك)

على اليرموك لا نقر السلاما ولا نبد الإشارة والكلاما

لا تغض العواطف زاخرات ولا ترفع لذاك النهر هاماً

فبعد اليوم ليس الماء عذباً فلا يروي ولا يشفي أواماً

وبعد اليوم أقفر جانباه وبات به الندى غيماً جهامًا

نسيمات الصبا هبت سمومًا وكانت تملأ الدنيا غراماً

وما شدو الحمام غير نوح كنوح الأمهات على اليتامى

أطلت روح (خالد) من غلاها تجوس ديار مكة والشآما

ترى ما حل بالنهرين حتى بها الآساد قد مسخت نعاما

وترقب في ربى اليرموك مجداً لقد بذلت له ذلك الحساما

تراث خالد قد صح مبدأ تراه أيحسن لبيوم اختتاما؟

وحينما شعر الشاعر بدنو أجله قال:

نسيت الضحك والأسى ومن قبلي لا ينسى

مرابض يجرع الآلام إن أصبح وإن أمسى

ألفت الشعر حتى صار عندي شريكي في شرابي أو طعامي

يراقب خطوتي في كل يوم ويحرس أنفسي عند المنام

وإن نطق اللسان بقول حر تعرض للسان هن الكلام

وحينما كان يموت أنشد:

أموت قرير العين أديت واجبي لزوجتي وأبنائي وصحبي وأمتي

تسلمت من ربي كريم رسالة وها أنا بالإيمان أنهي رسالتي

من مؤلفاته:

- حياة آل رومانف (نقله عن رواية روسية إلى العربية بالاشتراك مع قرينته السيدة دافنة عيسى)، طرابلس الشام، 1913.
- صفحات مطوية (ديوان شعر).

توفي الشاعر ناصر عيسى بتاريخ 1965/9/16 في بلدة كوسيا – الكورة.

هدى حنا حداد (1340هـ – 1922م): روائية، تربوية

ولدت هدى حنا حداد في قرية الرامة قضاء عكا عام 1922م. درست الحقوق ظناً منها أنها تستطيع الدفاع عن الأبرياء، ولكنها (كما تقول) وجدت المحاماة لا تمت إلى العدل بصلة إلا فيما ندر. لذا تابعت التعليم لأنه الأفضل في بناء الأجيال. خلال عملها كمديرة لمدرسة البنات في الرامة، كانت تستقبل جيش الإنقاذ وتقدم لهم الضيافة والمساعدة الممكنة. كما اجتمعت هي وزميلاتها بالمدرسة بطبيب القرية الوحيد وطلبن منه التدرب على الإسعافات الأولية. مع وقوع النكبة، التجأت عائلتها إلى سورية حيث أقامت في قرية (حينة) وهي قرية أمها. والغريب في الأمر أن أمها (ابنة حينة السورية) بقيت في الرامة، أما هي ووالدها وأخوتها فالتجأوا إلى حينة وأقاموا فيها. وحول هذا الموضوع تتحدث الصحفية سلفانا مونري من "لاس بالماس" عاصمة جزر كناري، حيث تعيش هدى مع ابنها يعرب، فتقول: بعد أن قابلت هدى حداد مع ابنها يعرب، وسمعت منها عن فلسطين وأهل فلسطين، وبشكل خاص عندما خرجت من بيتها بفلسطين، وتنظر هدى إلى أمها ملياً لتبقى صورتها وتقاسيم وجهها في ذاكرتها. لم تقبلها قبلة الوداع، لأنها كانت على يقين من أنها ستعود إليها. رافقتها أمها حتى الباب الخلفي من حديقة المنزل مخافة أن يراها الأعداء الذين هاجموا

البلدة. وعند السور توقفت، تنظر إلى ابنتها وهي تسير ببطء تلتفت إلى الوراء لترى أمها للمرة الأخيرة. وكانت الأم قد نزعت منديلها عن رأسها تلوح به. وحين سارت هدى مسافة وهي تلتفت إلى الوراء بين خطوة وأخرى، رأت أن أمها بدأت تصغر شيئاً فشيئاً حتى غابت عن ناظريها، وغاب المنديل، وغابت شجرة اللوز والبستان، وغابت الدار بل كل الديار. وهكذا ابتعدت هدى عن بلدها التي اغتصبها العدو الصهيوني، وكانت تلك المرة الأخيرة التي رأت فيها أمها. هدى حنا مسيحية، رأت أمها لآخر مرة سنة 1948م في فلسطين، عندما أغدق الإنكليز السلاح بكل أنواعه على اليهود، بينما كانوا يهدمون البيت إن وجدوا فيه رصاصة أو "شبرية" عند العرب، وكان سلاح الصهاينة يفتك بالفلسطينيين ويرتكب المجازر العديدة. هدى حنا لا تزال حتى الآن لا تستطيع أن تمسك دموعها كلما تذكرت تلك الأحداث. هدى حنا فلسطينية ولدت فيها وترعرعت وعاشت فيها حتى السادسة والعشرين، والآن هي موجودة في "لاس بالماس" إحدى جزر كناري في زيارة لابنها يعرب. لم يصدق أن أحداً عمره تسعون عاماً وستة أعوام (؟) وليس ثمانون عاماً. وحين كانت تتكلم بلغتها العربية عن ذكرياتها، كان الحضور من الإسبان يدهشون أمام امرأة بذاك السن تتمتع بذاكرة قوية إلى هذا الحد.

أعمالها:

لقد عملت هدى حنا في وكالة الغوث الدولية (الأونروا) مديرةً لمدرسة طبريا، ثم عملت في ميدان الخدمة الاجتماعية في مدينة القنيطرة وغيرها في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين المنتشرة في عدة مدن سورية. وفي أوائل عملها كتبت كتاباً باسم (صوت الملاجئ) على شكل تُروى فيها الأحداث المأساوية التي حصلت لأبناء شعبها المشردين. تحركاتها لم تنته عند هذا الحد، فقد انتقلت من حلب إلى القنيطرة في مرتفعات الجولان، وهناك مارست عملها في الشؤون الاجتماعية، ثم عادت إلى التدريس كمديرة لمدرسة طبريا حتى الاحتلال الصهيوني للجولان عام 1967م. لقد شردت للمرة الثانية إلى دمشق وعملت مديرةً لمدرسة بجرمانا بعض السنوات، وهناك انضمت إلى الاتحاد النسائي. تقول أديبتنا: "إن الصهاينة لم يحترموا الأماكن المقدسة، إسلامية كانت أو مسيحية، فهدموها وتركوا بعضها مهملاً، وقتلوا المصلين في المسجد الأقصى ومسجد إبراهيم الخليل وكذلك الكنائس، فدخلوا كنيسة المهد وأطلقوا النار على الراهبات وقتلوا أحد الكهنة، والسلطات تعرف أن الأرشمندريت عطا الله حنا مهدد بالإبعاد عن القدس لأنه وطني جريء." تتحدث أيضاً أديبتنا قائلة: "أجل، لقد طال انتظاري وطال، والأمل لا يفارقني وقد بلغت من العمر اثنتين وثمانين عاماً متمسكة به.

ولكني خشيت وعلى غير إرادتي أن تفاجئني المنية وفلسطين بعد صبية. وإذا بقلبي المضني قد تباطأ نبضه، فانتابني خوف مريع من أن يتحقق ما خشيته، فرفعت يدي إلى قلبي الممزق أصيح به أقول له: يا قلب مالك وللنبض البطيء؟ فهل أضناك طول الانتظار ولم تعد تقوى على الصبر؟ فتجلد، واخفق عالياً ولا تتوقف عن الخفقان، فأنا لم أتم رسالتي بعد، وما زلت قادرة على العطاء، وما يزال أمامي مشوار طويل، وأنا لا أنوي الرحيل، لا أنوي رحيلاً حتى أرى فلسطين بلادي قد تحررت من الغزاة المغتصبين، وأرى فوق جميع ترابها يخفق علم العروبة (علم فلسطين)، وأرى رامة الأحباب بلدتي "الوادعة" أقف على سطح بيتي القديم أمنع ناظري بمرأى مروج الزيتون الخضراء، وأتجول ولو قليلاً بينها، وهناك شجرة زيتون وارفة الظلال أحفر اسمي على جذعها ليكون في ذلك المكان الحبيب مثواي الحبيب".

من مؤلفاتها:

- صوت الملاجئ، صدر في دمشق في خمس طبعات.(1951-2004)
- عائد من بعيد (رواية)، 2002.
- أريد أن أموت في فلسطين، 2005.

أنا كاتب هذه السطور أعرف هدى حداد منذ زمن بعيد، لأنني كنت أعمل معها في وكالة الغوث الدولية، كما عرفتها في مركز الكتاب والصحفيين الفلسطينيين. فهي زميلتي في التربية والتعليم والكتابة. كما أؤكد على صفات لها معروفة أنها:

- متعاونة مخلصة في عملها حقاً.
- منذ نعومة أظفارها تحب العلم والمعرفة وتسعى وراءها.
- تنوع المناصب في عملها كمعلمة في بلدتها ومديرة مدرسة في أكثر من مكان، وعملها في الشؤون الاجتماعية ودورها في التعرف على معاناة أهلها ومساعدتهم.
- اشتراكها بالاتحاد النسائي وخبرتها في تطور الاتحاد.
- عضوة نشيطة بالكتاب والصحفيين الفلسطينيين ونشاطاتها فيه.
- كاتبة وطنية تعشق وطنها وتقدسه، تسعى مع معارفها (وما أكثرهم) بحب بلدهم فلسطين، بإبراز خيرات فلسطين بالطبيعة والزراعة وأنواعها والفواكه وجودتها وآثارها وجودة بلادنا للسياحة العالمية وما أكثرها.

نايف خوري (1369هـ – 1950م): قاص

ولد نايف خوري في قرية الرامة (الجليل) سنة 1950م، وفيها أتم تعليمه الابتدائي والثانوي. درس موضوع المسرح في الجامعة العبرية في القدس. أسس عدة فرق مسرحية في قرى ومدن عربية في الجليل، وعمل مسؤولاً عن دورات التمثيل في بيوت الشبيبة والمراكز الثقافية. وهو عضو لجنة نقاد المسرح والسينما التابعة لنقابة الصحفيين. يكتب المسرحية والنقد الفني والزجل وينشر في الصحف المحلية، كما يحرر ويقدم برنامجاً أسبوعياً في الإذاعة بعنوان (الفن والسينما). وله عدة مخطوطات تنتظر النشر.

من مؤلفاته:

- دم للبيع ومسرحيات أخرى، الناصرة، دائرة الثقافة العربية، 2001.
- عدالة الأميرة (مسرحية)، القدس، 1981.

يوسف أيوب حداد: باحث

ولد يوسف حداد في قرية البصة المجاورة للرامة (الجليل) في فلسطين. التجأت عائلته إلى لبنان عام 1948م، حينما قامت العصابات الصهيونية باغتصاب فلسطين وطرد سكانها. أتم دراسته الجامعية في لبنان، ثم هاجر إلى أمريكا حيث أتم دراساته العليا. وهو أكاديمي متميز، كتب عن القضية الفلسطينية، وتعتبر كتاباته معبرة وصادقة. نشر كتاباته في الصحف والمجلات العربية وفي مجلات الإعلام الأميركي، فكانت له مقالة دورية تصدر في أمريكا. ومعظم مقالاته وأبحاثه تتعلق بالقضية الفلسطينية.

من مؤلفاته:

- **ما بقي للتفاوض عليه؟** سرد التاريخ ناقد للأبحاث من عام 1918م، عروبة فلسطين ودور الجامعة العربية في الخمسينات من القرن العشرين، ودور ترومان رئيس الولايات المتحدة والتقسيم، ثم تراجع وتخاذل الجامعة العربية في نصرة القضية، وبشكل خاص خروج السادات عن الإجماع العربي في معاهدة كامب ديفيد، تبعه الأردن بمعاهدة وادي عربة والتطبيع مع الصهيونية، ثم مؤتمر مدريد وما خلفه في أوسلو وصفقتها المدمرة. لم تنجح منظمة التحرير في أي مفاوضات مع العدو لأن لجان المفاوضات أوكلت لرجال غير مؤهلين أمام جهابذة الفكر والثقافة الصهاينة الموثوق بحماستهم للصهيونية، رغم أن القانونيين من محامي فلسطين تراهم أكثر كفاءةً وقدرةً على أخذ الحق، وما أكثرهم. بينما نرى السلطة العتيدة في فلسطين المحتلة تسلم مصير القضية لأناس مقربين مريدين، يكاد الواحد منهم لا يعرف رأسه من فاه. ويأتي بعدها مشروع "خارطة الطريق" التي تنص على إقامة دولتين، حيث يجري التفاوض على ترسيم الحدود للدولة الفلسطينية، ثم مصير المستعمرات والقدس واللاجئين. ومن المؤكد أن المجتمع الإسرائيلي بكل تياراته يتمسك بالثوابت الاستراتيجية ولا يرجع عنها. كان محمود عباس يعلم علم اليقين عن وجود 154 مستعمرة صهيونية في الضفة الغربية، و17 مستعمرة في قطاع غزة، بالإضافة إلى البؤر الاستيطانية. ويعلم أيضاً المساحات الواسعة التي أقامت عليها (إسرائيل) الطرق الالتفافية لتحويل المجتمع الفلسطيني إلى معازل مقطعة الأوصال والتواصل بينها. كما كان يعلم قبل سواه أن مشروع تقسيم فلسطين عام 1947م أعطى الدولة الفلسطينية 47% من مساحة فلسطين الجغرافية، وأن اتفاقية أوسلو أعطت الفلسطينيين 22% من مساحة فلسطين الجغرافية، وأن اقتراح الرئيس كلينتون في كامب ديفيد عام 2000م أعطى الفلسطينيين 80% من الـ 22%، وأن العرض الذي طرحه شارون لدولة مؤقتة بلا سيادة تقوم على 42% من 80% من 22% من 100% من مساحة فلسطين الجغرافية. وفيما تنتهي أنظمة التطبيع العربية، وعلى رأسها السلطة الفلسطينية، بأحلام مشروع خارطة الطريق، تمضي حكومة شارون في إقامة الجدار الأمني بالضفة الغربية، وليس على الخط الأخضر الذي يفصلها عن حدود إسرائيل لعام 1967م، بطول ألف كم، مع أن الخط الأخضر يقتصر على 360 كم. هذا يفرض واقعاً جديداً لابتلاع مساحات آلاف الكيلومترات، وتتحول الضفة سجناً لمليوني فلسطيني. وقد تمت المرحلة الأولى من تشييد ذلك الجدار بطول 148 كم بارتفاع ثمانية أمتار، ونجم عن ذلك فصل 67 مجمعاً سكنياً فلسطينياً عن أراضيهم و15 قرية كذلك. وعند اكتمال الجدار، وقد اكتمل الآن، بلغ مجموع ما ابتلعه الصهاينة 96,500 دونم من أراضي الضفة الغربية. كما أن التواءات الجدار وجدران الطوق الداخلي سيحجزان وراءهما 65,500 دونم، وسيضيع 11,400 دونم عبر عملية بناء الجدار من خلال العوائق المقامة والخنادق. كما جرى اقتلاع 84 ألف شجرة، وتخريب 35 ألف متر من أنابيب الري، وتدمير 11,400 دونم زراعي، وضم 31 بئر ماء ارتوازي. والهدف غير المعلن من وراء ذلك هو

التضييق الاقتصادي لدفع الفلسطينيين على الرحيل، ومن جهة ثانية إلى تحقيق الفصل العنصري على شاكلة نظام (الأبارتايد). كل ذلك يجري على الأرض كأمر واقع، فيما الأنظمة العربية المهترئة، وعلى رأسها السلطة الفلسطينية، تتوسل تنفيذ مؤامرة (خريطة الطريق). والسؤال الواجب طرحه: ما هي المساحة الجغرافية المتبقية من الأرض الفلسطينية لتقام عليها الدولة الفلسطينية العتيدة؟ وما دام الحال على هذا المنوال في تنازلات الأنظمة العربية وفي سكون الشارع العربي، فليس من المستبعد إضافة محمية جديدة إلى المحميات القائمة، وليس الجولان ووادي عربة ببعيد.

من مؤلفاته:

- هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، بيروت، بيسان، 2000.
- خليل السكاكيني: حياته ومواقفه وآثاره، بيروت، 1981.
- فلسطين في الأدب المهجري، بيروت، مؤسسة فكر، 1982.
- الحركة الصهيونية منطلق عنصري وارتباط مصيري، بيروت، 1977.
- المجتمع والتراث في فلسطين (قرية البصة)، دار الأسوار، عكا، 1987.

العائلات في بلدة الرامة

حنا، فرهود، سمعان، قسيس، ضو، إرشيد، بواردي، خازن، غطاس، أبو حلو، زيدان، فراج، داود، حسين، فارس، أسطفان، وعائلات أخرى.

المراجع:

(1) موسوعة أعلام فلسطين، ج4، ص54، محمد عمر حمادة، الوثائق، دمشق.
(2) نفس المرجع، ج4، ص101.
(3) نفس المرجع، ج6، ص113.
(4) نفس المرجع، ج7، ص511.
(5) نفس المرجع، ج8، ص200.
(6) نفس المرجع، ج8، ص171.
(7) نفس المرجع، ج8، ص380.
(8) نفس المرجع، ج8، ص620.

الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية

(الأمثال، الطب الشعبي، التفاؤل والتشاؤم، ألعاب التعاون في بلدة الرامة)

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه.[1] والأمثلة كثيرة، ففي المعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية –الكرمة) أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير، وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، وثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

والثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

والحرباء: غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات أم أربعة وأربين، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

وشجرة الرمان: المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة. وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبجلة موقرة في فلسطين، لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة. وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله الله".[2]

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح.
- إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه.
- كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر.

إن الطب الشعبي يعتمد العلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد (بكاسات الهواء) وفصد الدم من الوريد أو "المسمار" (الكي). والقصب البري يجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء. وللبثور يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة. ويعالجون السعال بنبات البابونج. وحتى لإدرار البول يغلون الشعير والبقدونس. والرشح يدهنون الصدر بالزيت الحامي، ويسقى المريض البابونج والزعفران. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. وللإمساك ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني

طاسة الرعبة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم، مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن، على الغالب آية الكرسي أو المعوذات، ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويسقى المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها (بإذن الله تشفي هذه الكأسة من السموم). وبعض الكاسات توحي للأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برجاً حسب مولده. وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية.

وأنا أسَهّل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر: حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان وزنوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان

ومن الأمثال في الطعام

يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة بالطعام منها: "اعزم والزم والأكل نصيب". وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: "ما حدش بياكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو: "زيد"، فيجيب: "أكلت اللي فيه نصيبي". والأمثلة حول الطعام كثيرة منها على سبيل الإيجاز:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غب غب الجمال وقم أول الرجال.
- أطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (للقناعة بالموجود).
- الله يطعم الحمص للي مالوش سنان.
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو ياكِل عسل يصبر على قرص النحل.
- يلي عنده قمح يقرضوه طحين.

في التقويم الشعبي (الجيد منه والمكروه من الحيوان)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد. وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون "شراقي الصليب" أو "شراقي الخريف". وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل: "أيلول طرفه مبلول". وإذا هطلت الأمطار يقولون: (الموسم بدري). إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس،

فسرعان ما تتلاشى. وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس، فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه. ويقولون في سنة الشراقي: (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها. ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب، إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء، كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض.. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس: (ما لك صيفيات بعد الصليبيات). ويقولون: (إن أبرقت على الصليب ما بتغيب). وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر: (عند البرق الدنيا بتخبط). وأما إذا أبرقت وأرعدت: (زواريبها طرطقت). ويقولون عن المحاصيل: (متى صلبت خربت) أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم، فيقولون: (يودع العنب والتين السنة). وفي أكتوبر (تشرين أول) تجف مياه الآبار، فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء. ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة: (في عيد لد شد يا فلاح شد، ما بقي للشتاء فعد). أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض)، الفحول رمز الإخصاب، فيقولون: (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل). ويوصف كانون بأنه "فحل السنة" أو "محللها". أما شهر شباط فهو غير مستقر: (شباط الخباط ما عليه رباط). أما "المستقدريات" فإنها جاءت في قصة العجوز وغنامتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول: (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط). فغضب شباط وقال لأخيه آذار: "أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة، حتى نجعل العجوز تحرق دولابها"، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش. أما "أسعد ذابح" فإن قصته تقوم على: أربعة شبان يحملون بضاعتهم وتحملها أربعة جمال، وتعرضوا في طريقهم لموجة برد قاسية فمات ثلاثة وبقي الرابع. فقام يذبح ناقته وسحب ما في جوفها ونام داخلها ونجى، لذلك يقولون "أسعد ذابح."

أما الربيع فهو فصل العشب، يبقى أسيراً (المربعينية). و"خمسينات" الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

الألعاب الشعبية

ومن الألعاب التي يعتاد القرويون ممارستها، وما أكثرها، منها مثل:

1) **لعبة الطابة:** تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتخاط. ثم يأخذها الأولاد، ويحمل كل منهم عصا طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة إلى المرمى، وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.
2) **لعبة الغميضة:** تتم القرعة على من يبدأ اللعب، ويعصب عينيه، وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به. (لعبة الغمامة).
3) **لعبة العصا والعصاة:** المثبتة في ثقب حجر ثقيل، ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.
4) **لعبة البرش (الرواح):** وهي لعبة متطورة. تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية. يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة في الجو، وعليه الركض ليمسك بها. وهذه كانت لعبة الكبار.

ولعبة القفز العرضاني، وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز، ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.

5) **مسابقات الركض**: وهي السائدة بين الألعاب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.

6) **القفز العالي**: يمد حبل بين عمودين بارتفاع من السنتيمترات. فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم، وإن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.

7) **لعبة المِنَّة**: وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20–30 سم) يوضع على حجر يشكل مائلاً، ثلثه بارز للأعلى. ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه، فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس. وإذا التقطه هذا الفريق صارت اللعبة لهم.

8) **لعبة المنقلة**: يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين. وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40–50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر. ويوضع في كل حفرة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادةً الكبير في السن، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول، ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين. وعندما ينتهي، يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته، ويوزعها هو الآخر ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق، وهكذا. عندما يوزع الحبات، إذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي حبة واحدة، فيربحها، أي يأخذ الحبتين. وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات، أيضاً يربح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من جوز (زوج) أو أربع فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا يبقى أية حبة في الحفرة، وعندها ينتهي اللعب.

وفي الأعياد يذهب الأطفال إلى المراجيح بأنواعها، ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق "صندوق العجائب" أو "الكراكوزاتي" أو "الحاوي" (لاعب السحر) أو الذهاب إلى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق، أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة.

أما هذه الأيام، فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم، ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم، ويحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم وتلهيهم عن الأكل والشرب. وفي كثير من الأحيان تضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة، وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية، حتى كاد (الآيفون) يخدر عقولهم وأحاسيسهم، رغم المنافع التي يكتسبها العاقلون من المستخدمين.

التعاون

هناك عادات التعاون في الزراعة، في حراثة الأرض وبذر البذور أو زرع الأشتال، وجمع الثمار (الزيتون) والحصاد وجمع الإنتاج ونقله إلى البيدر أو المعصرة للزيتون. وتتجلى فكرة تعاون أهل الرامة بالتعاون أثناء الأفراح والأتراح والحرائق ومصائب الطبيعة. فتراهم عند الزواج يشاركون أهل العريس والعروس بكل جوارحهم، يخففون عنهم الحمل الثقيل. وكذلك بالأتراح والمصائب يشاركون أهلها بالأسى والحزن. إن العقد الاجتماعي في القرية كبير قوي عميق، وبشكل خاص في الماضي القريب، بينما أخذت تقل هذه الأيام

وتحولت المراسيم إلى صالات من بناء واسع كبير مجهز بالطاولات والكراسي، تزينه الورود والكهرباء وساحات الرقص في الأفراح، تقدم فيه أطباق للطعام والحلويات والفواكه. وفي الأتراح تكون القاعة واسعة أيضاً معممة بالسواد، مليئة بالكراسي للمعزين من أهل القرية وغيرها.

كانت الأخبار تنتقل في السابق إلى سكان القرية عن طريق الجامع والكنيسة أو نقلها إلى الآخرين عن طريق الأفراد، ولم تمض ساعة أو ساعتين حتى يصل الخبر إلى الجميع. بينما في الوقت الحاضر يصل الخبر إلى كل أهل القرية خلال ثوان عن طريق الخلوي. إن المجلس المحلي في بلدة الرامة الممثل برئيسه وأعضائه ومريديه، يتحملون العبء الأكبر من هدف التعاون لأهل البلدة، ويساهمون في كثير من مراسيمه، لا سيما الاجتماعات الطارئة والهامة في قاعة البلدية لما هو ضروري من خدمات جديدة طارئة. تقوم المدارس في بلدة الرامة ببعض النشاطات الخدمية للبيئة، من غرس الأشجار ورصف لبعض الطرق، وزراعة حدائق المدارس وتجميلها بالأزهار، وبناء المصاطب الزراعية، وتنظيف المدرسة ومرافقها من الشوائب والأوساخ.

التعاون في البناء: جرت العادة في معظم قرى فلسطين مساعدة البناء في سقف البناء، عن طريق قيام شباب القرية أو بعضهم مساعدة باني البيت عند سقفه (الطوبار). وذلك بخلط الرمل والكلس مع الإسمنت لإعداد الجبلة، ثم ينقلها على أكتافهم بتسلق السلالم المتعددة إلى سطح البناء، وهنا يفرغون الخلطة إن كانت خلطة (إسمنت ورمل) أو إسمنت أو كلس (أو طين مخلوط بالتبن – سيقان الحنطة والشعير). وإذا كان سقف البيت بشكل قبة، ينتظرون البناء ليضع آخر حجر في القبة، وهنا تبدأ الأغاني والزغاريد والتكبيرات، بعدها يقوم الشباب بنقل التراب والبحص والحجارة المحمولة لردم فجوات القبة حتى تتساوى مع السطح، ثم تغطى بطبقة من الرمل والإسمنت، وتوضع فتحة ينزل منها مزراب ينقل الماء عن السطح إلى أسفل ليصب في بئر معد لخزن ماء الأمطار ليستخدم في الصيف في التنظيف أو سقاية الماشية والحيوانات الأخرى. وفي كثير من الأحيان كانت تذبح ذبيحة وتطبخ للعاملين عرفاناً وتقديراً لمساعيهم الحميدة.

وفي الأتراح يحاول أهل البلدة التفريج عن المصابين بمواساتهم ودعوتهم للطعام أو مساعدتهم في الإكساء أو المال ومواد المؤونة، وما أكثرها.هذا قليل من كثير ذكرته من عوامل التعاون في القرية.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج2 (خاص)، أحمد طربين.
(2) الموسوعة الفلسطينية، ج4 (خاص)، فكتور سحاب.
(3) بلادنا فلسطين، ج1، مصطفى الدباغ.
(4) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الفصل السادس: السكن وبنية المنازل

السكن

يسعى الإنسان منذ وجوده إلى تأمين المسكن لأسرته وعياله، ثم لعشيرته. وقد تطورت الأبنية، وفي قول المثل: "إن الإنسان ابن بيئته". وأن العوامل الطبيعية من أرض ومناخ ومياه وتربة وأشجار وغيرها تساعد البشر على اختيار مساكنهم.[1]

والسكن يختلف بوجود الحجر والمواد المتوفرة لبنائه. فأبنية جبل العرب في سورية هي من حجر البازلت الأسود، ولما كان الشجر معدوماً، استعاض الناس بالحجر في سقف منازلهم. كما أن أهالي دمشق بنوا بيوتهم بالطين والخشب لوفرة أشجار الحور، كما رفعوا بيوتهم إلى أكثر من طابق. بينما في مساكن شمال حماة، لم يجدوا في مناطقهم الحجر والخشب، فبنوا مساكنهم بالطين فقط بشكل قباب.[2]

ولما كانت منطقة الجليل كلها، واقعة في السهل والجبل، تعج بالينابيع ومناخها مساعد للسكن، فقد استثمر البشر هذه الميزة في بناء مساكنهم وأبدعوا في البناء. لذلك نرى بيوت الناس في هذه البلدة تجلب النظر بحجارتها البيضاء الناصعة، وإلى جانب السقوف الخشبية نرى السقوف المعقودة بشكل القبة، وهي الأبنية القديمة التي كانت شائعة قبل وجود الإسمنت والحديد. وكانت البيوت تبنى بشكل عشوائي لا نظام لها، والطرق ضيقة لا تسمح إلا لشخص أو ثلاثة أشخاص بالمرور فيها، وذلك لأمور أمنية، إذ يتعذر للغزاة دخول القرية بسهولة على خيولهم، ويلاقي الفارس مقاومة لا يقدر عليها، كما تساعد ملاصقة البيوت في البلدة. يغلب على بناء بيوت الرامة الحجر الكلسي الأبيض الناصع، القديم منها على شكل سقوف معقودة تثبت بملاط من الطين والتبن، وبعضها بسقوف من الخشب تغطيها طبقة من الطين أيضاً، أو الرمل والكلس أحياناً. بينما البيوت الحديثة مبنية من الحجر الكلسي الأبيض المصقول المنمق منه والمصقول كالرخام. وقد كثرت ورشات قطع الأحجار وتنوعت أغراضها بالصقل والتلميع، وكثرت المكالس (صناعة حجر الكلس) وصارت كالرخام. ويعتبر كادر عمال البناء أكثرهم عدداً في البلدة. كما أن أسقف بيوت البلدة تُوّجت بالقرميد لتعطيها جمالاً ورونقاً يبهر الأبصار. وبعد أن اختار أهل البلدة مجلس البلدية، بدأت وتقوم على تقديم البنية الأساسية للبلدة من تنظيم الأبنية وبناء الطرق المعبدة والشوارع المنظمة والساحات العامة، ومد شبكات الكهرباء والماء، والحفاظ على الأحراش، وتقديم الخدمات لسكان البلدة، والإشراف على التعليم والمواصلات والأمن، والعمل على مشاريع تحسينية لصالح أهل البلد.

لقد تأسس مجلسها المحلي عام 1956م، وترأسه السيد إلياس قسيس آنذاك. يتكون المجلس من أحد عشر مقعداً، وتتوزع المقاعد بين خمس قوائم وهي: الجبهة الديمقراطية ممثلة بأربعة مقاعد ومقعد آخر للرئيس، الوحدة والأخوة ممثلة بمقعدين، المحبة والإخلاص ممثلة بمقعد واحد، والتعاون والإخلاص ممثلة بمقعد واحد، وقائمة الرامة الموحدة ممثلة بثلاثة مقاعد. وتتوفر في البلد الخدمات الأساسية. رُبطت البلدة بشبكة مياه الشرب عام 1959م، وبشبكة الكهرباء عام 1964م، وبشبكة الهاتف منذ عام 1958م، وربطت بصورة مكثفة في الثمانينيات. بينما تفتقر البلدة إلى شبكة التصريف الصحي لمياه المجاري. تعمل في البلدة 11 عيادة طبية موزعة كالتالي:

- عيادتان، إحداهما لصندوق المرضى العام وأخرى للموحدة.
- عيادة للتوليد ومحطة لرعاية الأمومة والطفولة.
- ثلاثة عيادات لطب الأسنان.
- ثلاثة عيادات للطب العام.
- صيدلية ومخبر أسنان.

الديوان: ينتقل رئيس العشيرة هو ومجلس العشيرة إلى خيمة هي الأكبر والأوسع. وإذا كان بيت الشعر مؤلفاً من قماش صوف يصنع من شعر الماعز، بما فيها الحبال التي تثبت فيها الخيمة بقوائم مغروسة بقوة في الأرض على الجوانب، وأعمدة تحتل وسط الخيمة ترفع عليها الخيمة. كما تُفصل الحواجز في الخيمة الكبيرة الواسعة إلى غرف منفصلة للنوم والطبخ والغسيل وغيرها. ويجتمع في الديوان أفراد العشيرة وشيوخها لبحث أمور العشيرة الأمنية والمعاشية وعلاقاتها مع جيرانها. كما يقوم الديوان باستقبال الضيوف والأغراب، فهو بالنسبة لهم مقر ضيافة.

وبعد أن مارس الناس الزراعة والاستقرار، تغير وضع الديوان شكلاً ومضموناً. وتحول الديوان من بيت شعر متنقل إلى بناء من حجر، وسقفه معقود بشكل قبة واسعة المساحة، يصلح لإيواء الوافدين بما فيها إقامتهم ثم منامهم. أرضه مفروشة بالحصر أو البسط من صوف وقطن، تحيط جوانبه الفرش والوسائد والمساند، يجلس عليها النزلاء والحاضرون من أهل البلدة. وفي وسط الديوان يوجد "المنقل"، وهو إناء نحاسي في العادة، يستخدم في إعداد القهوة للضيوف. عليه ثلاثة أباريق بأحجام مختلفة، تُصفى بها القهوة عند تصنيعها، وتوقد النار تحتها بالفحم، ويظل الموقد ساخناً طيلة اليوم. كما يوجد "جرن القهوة"، وهو عبارة عن جذع شجرة ارتفاعه 40 سم وقطره 30سم، مجوف في الوسط، توضع فيه القهوة بعد تحميصها وتدق بواسطة "المهباش" (وهو قطعة خشب طويلة، سمكها مقبض يد الرجل، مزينة مزخرفة، يستخدمها الرجل ويدق بها القهوة داخل الجرن، ويتفنن بالإيقاع كنغمات موسيقية).

كما يلعب الديوان دوراً بارزاً في نشاطات سكان القرية، من حل مشاكل ودراسات المحاصيل الزراعية وإنتاجها وتسويقها. كما يدرسون النواحي التعليمية وعلاقتها في تطوير القرية وتحسين مرافقها، وإنشاء شبكات الماء والكهرباء والهاتف، هذا إذا لم يكن في القرية مجلس محلي. والديوان مضافة للأغراب والوافدين، يمضون فيه فترة راحتهم من أكل ونوم وحفاوة وتكريم لا تزيد عن ثلاثة أيام في العادة. تُحل في الديوان مشاكل الناس وما أكثرها، ويقوم بذلك زعماء القرية والمسنون منهم.

وقد شهدت يوماً محاكمة شاب أشعل النار بعشرين شجرة زيتون لأناس أغروه بالمال ليقوم بعمله، وتحت التعذيب بالفلقة اعترف بجريمته، وكادت الحادثة تودي بمجزرة. وقد تبنى مجلس الديوان تهدئة الأمور والاتصال بالمحرضين خفيةً بتعويض المجني عليه، إما بمنحه بدل زيتوناته المحروقة ثمنها، أو بزيتونات مثلها، على أن لا يدري أحد. وهذا ما حصل، رأيته بأم عيني.[4] ويوظف الديوان في ساعات الفراغ في التسلية ببعض الألعاب مثل الطاولة والضامة والورق، وغيرها من التسليات التي تعوض الذهاب للمقاهي. وقد تستخدم الدواوين لسماع الحكواتي وهو يسرد القصص للحاضرين ويمتعهم بالحكايات المتنوعة، الحقيقية منها والخيالية. وإلى جانب الديوان، كان مختار بلدة الرامة يقوم ببعض المهام مثل الأحوال المدنية من ولادات وأموات وحصر الزواج، مندوباً عن دوائر الأحوال المدنية لمدينته. وفي بعض القرى كثيرة السكان كان هناك أكثر من مختار، ولكل واحد منهم ديوانه الخاص في بيته، وله راتب بسيط

أجر عمله. وكان مختار القرية أو البلدة ثم المدينة، في عهد الانتداب البريطاني، عليه تبعات التبليغ عن الأمن لسلطات الانتداب، وهذه المهمة لم تكن مرغوبة فيها لدى رجال الثورة في كل فلسطين. وكان أغلب المخاتير ينحازون للثوار في التخطيط والتمويل ونقل الأخبار، بينما البعض القليل منهم والمتعاون مع العدو كان عرضة للتصفية من قبل الثوار.

أدوات البيوت والطعام

- **معصرة الزيتون** :ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الرامة. تجمع ثمار الزيتون من أيلول حتى أواخر تشرين الثاني. وكانت تستخدم الطرق القديمة بضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة. ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر. وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وحجر كبير دائري بشكل الدولاب يديره حيوان. ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نبات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف بعد ملئها بالزيتون المهروس بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين، فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البِدّ). ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم يجمع الزيت في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار. وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان. وفي الرامة أكثر من ثلاث معاصر حديثة إلى جانب القديم منها.
- **السكين** :ويقال لها (خوصة) في بعض قرى حيفا وجنين، وفي بعض الألوية(4).
- **الملعقة** :ويقال عنها (زلفة) في قضاء حيفا ووسط فلسطين. وهي تكون من خشب أو من نحاس ومعادن أخرى.
- **الصحن** :ويقال عنه (ستية) في قضاء حيفا وأكثر ألوية فلسطين.
- **الشوكة** :منها الخشب ومنها المعدن، ويظل اسمها شوكة عند الجميع.
- **الطنجرة** :وهو وعاء الطبخ المعروف عند الجميع، مصنوعة من الفخار أو المعدن (ألومنيوم أو نحاس أو ستانلس ستيل هذه الأيام).
- **المقلاة** :وهي أداة معدنية مثل الصحن ولها يد طويلة مقبضها من الخشب، مختلفة الأحجام، شائعة عند السكان كلهم.
- **اللَجَن** :إناء واسع مستدير يوضع فيه الماء، وهو على أحجام مختلفة، يستخدم لغسيل الثياب وعجين الطحين. وإذا كان كبير الحجم يستعمل كحوض للاستحمام.
- **الدَسْت** :وهو إناء كبير الحجم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، يستخدم في سلق القمح لإنتاج البرغل. كما يستعمل في صنع رب البندورة أو رب الخروب والمشمش وجميع المربيات الأخرى.

ومن عادة النسوة في قرى قضاء عكا في أوقات فراغهن العمل بالأشغال اليدوية، مثل شغل أطباق القش من سيقان القمح والشعير. كما كن يشغلن القبعة والترويجة والمشكول، ويلونن القش بألوان متعددة. أما الطبق فهو دائري الشكل على مستويات: كبير أو وسط أو صغير. تقوم النسوة بصنعه بلف حزمة من عروق ساق سنبلة القمح أو الشعير (بقدر ثمانية أو عشرة سيقان معاً) ثم تُقمط الحزمة بساق أو اثنين، وتلف الحزمة بشدة، وهكذا تواصل النسوة بوصل اللفة الأولى بالثانية عن طريق المخرز (يدعى المسلة) حتى

ينتهي الطبق. وكان يستغل هذا الإنتاج في وضع الطعام عليه، وتلتف الأسرة حوله لتناول الطعام. وبعض الناس يعلقونه على الحيطان ديكوراً للجدران. ويكون عادة بمثابة طاولة السفرة في هذه الأيام، منه كبير الحجم ومنه الصغير الحجم.

أما القبعة فهي بمثابة طنجرة من القش تتسع إلى 2.5 كغ من القمح.

والمشكول عبارة عن سلة لها يد، توضع فيها المرأة ويسهل حملها، وتمثل حقيبة النساء هذه الأيام.

والترويجة كانت توضع فيها خميرة العجنة التالية، وهكذا.

وفي بعض قرى حيفا أيضاً، كانت بعض النسوة يعملن في السنارة والصوف (كنزات ولفحات وقبعات)، ومن الإبرة التطريز على القماش، ولكن ليس بجودة التطريز في رام الله وبيت لحم.

وقد تطورت أدوات الطبخ هذه الأيام كثيراً، وكلما تطورت الطاقة تبدلت الأدوات، وأصبحت تناسب البيوت من حيث الجودة وحسن الاستخدام وسرعة الإنجاز وتوفير الوقت، ورحمة للإناث في تأمين الطعام من الخبز والطبخ والغسيل والجلي والكوي وغيرها الكثير. إذ تحولت تربية الحيوانات والطيور من البيوت إلى المزارع التي أصبحت ورشات عمل تضم العديد من العمال لتوفير الخدمات من تهوية العنابر وتنظيفها من روث ومخلفات غير مرغوب فيها، لتجمع في أماكن خاصة تحولها إلى سماد تباع في المحلات. كما يجمع البيض بكميات ضخمة تُرتب وتُصنف وتوضع في كرتون مجوف من الورق والبلاستيك وتباع في الأسواق. وكذلك لحوم الدجاج تنظف بعد ذبحها وتوضع بأكياس من البلاستيك بأحجامها، أو تقطع وتوضع في أوانٍ بلاستيكية.[5]

أما الألبان، فقد أصبحت المواشي من أبقار وأغنام في مزارعها الخاصة، من أبنية عنابر مزودة بمذاود خاصة بارتفاع صدر الحيوان، توضع فيها العليقة من حبوب ومكونات غذائية أخرى، وأخرى للماء تشربه الحيوانات. كما تزود الحظيرة بمعدات الحلب في المزارع الكبيرة. ويستخرج من الحليب اللبن المائع (ويقال عنه لبن رايب)، أو يُصفى ليصبح جامداً (ويقال له لبنة). كما يستخرج الزبدة والسمنة والجبنة، وهذه المواد تلعب دوراً أساسياً في حياة الناس بالبلدة من غذاء ومال.

لقد حلت الأفران التي تدار بأجهزة كهربائية وميكانيكية محل الطوابين والتنور وخبز الصاج. كما تقوم البرادات وأجهزة المطبخ من تنظيف صحون وعصارات ومطاحن وخلاطات وسخانات قهوة وشاي وفرامات لحمة. حتى الخضار والفواكه باتت جاهزة للأكل بعد شرائها من (المول) والتجمعات التجارية الأخرى.

المراجع:

(1) السكن والمساكن، الدكتور أنور نعمانن.

(2) مركز يافا للإحصاء، يافا عام 1990.

(3) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ج4، فكتور سحاب.

(4) الفولكلور الفلسطيني ج2، نمر سرحان.

(5) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ج4، فكتور سحاب.

الفصل السابع: الأفراح (الزواج ومراسيمه)

يرافق الزواج سلوكيات مختلفة بعض الشيء. تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بجنابه، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً، وتبدأ الخطوات بالخطبة. وتتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد أهمها الأفراح:

الخطبة:من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف. وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرى العروس، ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية.

وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً، ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمجد بخصائل العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً، كما وجدته في عمان مثلاً. وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءة وأمانة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي ."ويتم العطاء.

وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً. عندها تسمع النساء الموافقة، فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت

ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي

بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية

وصاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي بيابيي

منللى مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج: يدفع الشاب مهر عروسه حيث الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج، تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق و"بقج"، وهن يردن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج :تقام السهرات، ويقال لها "التعليلة"، وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات)، ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء. وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة، وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس. ينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان. وتقام الموائد، ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

يا محمرة يا مبودرة

وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانه مابطلع

إلا الحامولة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس، يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس

عنتر عبس عريسنا

عريسنا ابن الكرام

ابن الكرام عريسنا

عريسنا زين الشباب

زين الشباب عريسنا

والي يعادينا بنذبحه

ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويحلى ظهر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص والزخرف[1]، ويُجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره. وكذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا

إيه ويها ولا تشمت بنا شامت

إيه ويها حنا إن رحلنا جعلناك الدلو

إيه ويها وحنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا :تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية، وتستخدم الفخر والمديح. وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني. وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة. وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي

ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن

ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال

يا شعرك حير الجدال لو مال

أبوكي لا قبل فضة ولا مال

أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة، وكل منها معانيه ولحنه. منها:

زريف الطول ودلعونا :ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك

يلي رابيه بدلال أمك وأبوك

يومن جانا خبر أنهم خطبوك

شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا

نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت يا يما اقبروني

بأرض بلادي بفي الزيتونا

الغزيل :وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع والأخيرة، وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة "أهلاً."

يا غزيل يا بو الهيبا

ياغادي يا معذبا

زرتونا وشرفتونا

أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل، وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم القيمية.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال فينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتباريان الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة. على سبيل المثال يتناول الشعر السمرة والبيضاء، وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل.

وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة، وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا

يا ورد مفتح حوالينا

يلي سافرتوا عودوا الينا

لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس

واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا بالبن مايص

والي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها

يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب والله ارميها

واحكم عليها حكم فرعونا

أبوالزلف :هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عالعين يا بو الزل

عين الزلف ليا

قلبي جريح الهوا

وانتي الدوا ليا

جفرا ويا هالربع

عالبير نشالي

وازنرا بالطقم

فوق للطقم شالي

ولادة المرأة :عندما تلد المرأة، تخرج القابلة لإعلان النبأ. فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت

إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب

إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر

إيه ويها عيش واكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا

إيه ويها وما نال إلا الي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود إن كان ذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة.

إيه ويها وقفت حمامتنا

أيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي

إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل :تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة، وتأخذ بالغناء ويدعى "هدهدة:"

نامت عيونك

وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة

على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

هللي له يا حمامة

هللي له تينام

وافرشيله الأخضر

والوسايد وريش النعام

ترقيص الطفل :وترتبط بنمو الطفل، وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية كالتالي:

ميمته ياميمته

ياربي تخليه

وتخليه لمويمته

وتكحلو عينيه

وإن شاء الله بيكبر

وبيحمي هالشباب

ويحمل على جنبه

سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان :وهي متنوعة، وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغانٍ عامة. غير أن هناك أغانٍ بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولو لأمه

يا دموعوا لغالية نزلت ع كمو

ومطهر يا مطهر امسح بالشفرة

لا توجعلي رياض ابن الأمرا

اللعب مع الغناء :تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل، وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يامنيمسه يامنيمسه

يا حبة القريمشة

بعثتني معلمتي

اشتري راس البصل

وقع مني وانكسر

بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس

قيمي إيدك يا كبيري يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره تقوم الأم بينما تلف الأم يدها حول رقبته، فيقول الأب:

أنو فوقي

ويرد الطفل: عبد الطوقي

الأب: شو بدو

يرد الطفل: حمص مقلي

وينزل الأب طفله قائلاً: طيح نقي.

أغاني الشتاء :يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي

على صلعة ستي

ستي جابت صبي

سمته عبد النبي

حطته بالطنجرة

طلع صحن مجدرة

حطته بالبير

طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي

بيتنا حديدي

عمنا عبد الله

كسر الجرة

شتي وزيدي

على طريق سيدي

سيدي بالمغاره

ذبح قطة وفارة

سيدي في البرية

بيطبخ لبنية

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد

بنذبح بقرة السيد

والسيد ما لو بقرة

بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا طيور طايرة

يا مراكب سايرة

سلمي ع أمي وابي وقولي جبينة راعية

ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار

بعده التين ما نور

ما نور إلا الزيتون

يازيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

- **طاق طاق طاقية** :رن رن يا جرس حول واركب عل فرس.

لعبة الدائرة مع القفز :تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات أيديهن فوق أكتاف بعض، ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا

مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة

وحدة صغيرة

وحدة طويلة

وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

- **لعب البنات** :لعبة الإكس (الحيز) – والزقطة (القال) – الغماية (الطميمة) – الخويتمة (الخاتم والأصبع) – نط الحبل – لعبة الخمسات.
- **لعب الذكور** :كسر البيض – البنانير (الدحل) – لعبة الكورة – لعبة المِنّة – لعبة الغَزّة (توضع عصاة متينة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز) – لعبة كرة القدم – وسباق الركض والسحاسيل.
- **الصيد** :كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان البعض منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل: النقيفة أو بالفخ – بالدبق – بالشبك – بالفخاخ – وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية، ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية ج4 خاص، فكتور سحاب وسليم سحاب.
(2) الفولكلور الفلسطيني الشعبي ج2، نمر سرحان.
(3) الموسوعة الفلسطينية (ويكيبيديا).

الفصل الثامن: ثقافة المقاومة السلمي

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي. وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات "جابر عثرات الكرام" و"جريح بيروت" و"عنترة العبسي" و"صلاح الدين الأيوبي" و"مملكة أورشليم" و"طارق بن زياد" و"فتح الأندلس". وفي العقد الثاني من القرن العشرين، برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي، وهما: خليل بيدس الذي أخرج بين عامي (1924-1928م) في الناصرة مسرحية (السموأل) أو "وفاء العرب" لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح، مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية "عبد الكريم الخطابي" التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي (1927-1928م).

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني)، فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها. وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رواية "هملت" لشكسبير، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن: يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.
ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في (1936/4/1م)، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الجوزي). أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية. وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة، صاحب رواية "وفود النعمان على كسرى أنو شروان" التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م.وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان: "ذكاء القاضي" و"العدل

أساس الملك"، أو "لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و"فلسطين لن ننساك". وفي عام 1934م، ألف المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي مسرحية "في سبيلك يا وطن"، وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم، وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية: "السجناء الأحرار" – "غرام الميت" – "قبلة المحبة" – "صراع بين العلم والإيمان"...إلخ.

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية: "وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م. وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي: "نساء وأسرار" و"صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد." وكتب غسان كنفاني من المسرحيات: "الباب"، و"البني"، و"جسر إلى الأبد"، وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو، وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي. وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال بنشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرقة تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري، وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض: مسرحية "أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، ومسرحية "كان الموت ونحن على الميعاد" لمسرح أبناء شفا عمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح. والمسرحيتان هما: "ثمن الحرية" لمسرح عبلين، ومسرحية "الناطور" لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية "يوم الطاحونة" يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون. واحتجزت الرقابة نص مسرحية "إجازة" لمسرح الغربال ستة أشهر، ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: "رجال في الشمس"

– "بنادق السيدة كرام" – "الملك هو الملك" – "والحضيض" – "الصوت الغجري". كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية "كفى" التي عرضها على خشبته. وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين، وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ (8،7،6/9/1982م). وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان، هما: "ثمن الحرية" لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي. وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين، اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي". وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا)، ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج، والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية، وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، وكشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب)، بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال، على مرأى وسمع العالم كله.[1]

وقد بقيت فرقة "بلالين" حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها "يونس الأعرج" لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها. وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة، تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في (آب/1973)، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي (1975/4/28) شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي: بلالين و(بلا–لين) ودبابيس وكشكول. وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة (أيلول/1973). وأتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها، مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي لـ(بلالين) هي: "قطعة حياة" و"العتمة"، و"نشرة أحوال الجو"، و"الكنز"، و"تع تخرفك يا صاحبي". ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة، مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).

5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال، وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية (في العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره، من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، إذ قررت إنشاء "جريدة المسرح"، أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع، بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة "أصدقاء (بلالين)" التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح، ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها. ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم "بستان (بلالين)"، وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض "يونس الأعرج" لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين. وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في (آب عام 1973م)، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان الآتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي (1975/4/28م) شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و (كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة (أيلول عام 1973م). وأتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها، مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.[2]

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحيته "المأساة في (لكع بن لكع)"، فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية "لكع بن لكع" راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد، في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام "صندوق العجب". وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة. ويصدّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع". واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب. والإهداء: "إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)"، فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال، والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود. ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى: "أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول

أفديكم / فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم". (موسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص ص 233، محمود شريح) ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي: "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب". ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية: "فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه، وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة، قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه".

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو "مجنونة بدر"، وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب، يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم (أبي ليلى المهلهل الكبير)، فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم[3]، قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء (عيسى، إبراهيم، بدر). وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك. وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج، فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية، فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة في الصحراء). وللفنانين السينمائيين في مطلع القرن العشرين، وتحديداً في العقد الثالث، ظهر الأخوان بدر وإبراهيم الأما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين. وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- **بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما)**: ولد بتشيلي في (1907/4/23). وهو ممثل سينمائي فلسطيني، هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى "كوندور فيلم". وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في (1947/10/1). وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة

بدر اختار إبراهيم ابنه أخيه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام، وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة (12 مايو 1953). وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما، وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي، بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون)، إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

1927: قبلة الصحراء

1928: فاجعة فوق الهرم

1931: معجزة الحب

1935: شبح الماضي

1935: معروف البدوي

1936: الهارب

1937: عز الطلب

1938: نفوس حائرة

1939: الكنز المفقود

1940: رجل دين بين امرأتين

1941: صلاح الدين الأيوبي

1942: ابن الصحراء

1944: عريس الهنا

1945: البيه المزيف

1947: البدوية الحسناء

- **إبراهيم لاما** :سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفراحية في بيت لحم، ولد فيها. في منتصف الصحراء إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية، وبعدها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948، و(القافلة تسير) عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل: فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات، ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت إبراهيم (انتحاراً) في 1953، بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ج2 ص 233، محمود شريح.

(2) نفس المرجع، ج5 ص 25.

(3) نفس المرجع، ج5 ص 164.

الفصل التاسع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب، وإحلال يهود العالم محلهم. والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور (وزير خارجية بريطانيا) بتاريخ (2 أكتوبر 1917)، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب. وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه، رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي، من مظاهرات وعنف كانت تجابهها بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته، في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها. كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم... إلخ). إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56,000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650,000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين. وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها (وتعد بآلاف)، والسجون والمعتقلات والتشريد.

وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين:

1) **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة عام:(31/12/1947)**

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم داخل حافلة مصفحة قنبلة، قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ، فهاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد في:(14/2/1948)**

شنت عصابة "البالماخ" الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها. وأسفر الهجوم عن 60 نسمة، معظمهم من النساء والأطفال. وقد تباها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3) **مذبحة رحوفوت في (1948/2/27) قرب حيفا**

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4) **مذبحة الحسينية في:(13/5/1948)**

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5) **مذبحة بنيامينا في(27/5/1948)**

لقد حدث في هذا الموقع مذبحة حيث نسف قطار. وقد تمت العملية في (1948/5/27)، وأسفرت عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين. وتمت عملية ثانية في (1948/5/31)، حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6) **مذبحة دير ياسين في:(9/4/1948)**

مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما "الأرغون" (التي يرأسها مناحيم بيغن، رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً) وتم الهجوم باتفاق سابق مع منظمة الهاجاناه. وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية. وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7) **مذبحة الطنطورة في:(22/8/1948)**

هاجمت كتيبة 33 التابعة للواء الكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه، بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة. ولم يُكشف الخبر عنهم إلا بقيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8) **مذبحة قرية الدوايمة في:(29/10/1948)**

هاجمت كتيبة تابعة لمنظمة "ليحي" الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها، ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم. كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، التي لم يُكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9) **مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام:(1948)**

تقع القرية على مفترق طرق. تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها، وكانوا سبعة. فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه، ييغال يادين، أمراً إلى قائد البالماخ ييغال آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في (22 كانون الثاني 1949)، أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحاق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني، منها مصنع الثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة. كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة. ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10)**مذبحة شرفات في:(7/2/1951)**

في الثالثة من صبيحة يوم (1951/2/7) وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة، وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً. واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة، وأحاطوا ببيت المختار، ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم، والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى، وثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11)**مذبحة بيت لحم في:(26/1/1952)**

وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.

12)**مذبحة قرية قلمونة في:(29/1/1953)**

هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمونة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13)**مذبحة قلقيلية في(28/8/1953)**

حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين. ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً". وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات، تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة. فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة. لكن الحرس الوطني أفشل

الهجوم، وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، واحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله، وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها. وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلوه، ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، ويقتل كل من يصادفهم في الطريق. وكان حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة، وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبدت بعض الخسائر. وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدتهم بعض الخسائر.

14)**مذبحة قبية في:(15/10/1953)**

في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم (والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956). وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953، بلغت ذروتها في مذبحة "قيبية"، القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقاماً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها. كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية. إلا أن مجلس الأمن، الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد، لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية. وقد أبيدت أسر بكاملها، مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً. وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية. والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة، وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15)**مذبحة دير أيوب في:(29/5/1954)**

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة قريبة من القرية، وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهم بعض الجنود الصهاينة. فهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى. أسرع أهل الطفلة إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلة باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوها وأطلقوا عليها النار واختفوا وراء خط الهدنة. وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نُقلت إليه.

16)**مذبحة نحالين في:(29/5/1954)**

قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 جندي باجتياز خط الهدنة، وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها. وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17)مذبحة كفر قاسم (29/أكتوبر/1956)

في (1956/10/29)، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية. وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملينكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساء، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه، خاصة أولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها لقائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملينكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية" بقوله: "الأفضل أن يكون هناك قتل، لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف". وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة "شالوم"، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم، بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين، ولقي مصرعه. كما قتلت مجموعة منهم امرأتين كن عائدتين من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي. وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال سلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين، إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام. وتغطية على الجريمة، أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي. وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشيه حاييم. بينما عوقب ملينكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة. وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة، فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً، حيث أصدر إسحاق بن تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم (وهم اليهود الشرقيين) وبين الأشكناز (القادمين من أوروبا وروسيا وأمريكا).

18)**مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس**

شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين مازالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها من إسرائيل للقيام بعملياتهم. ووقعت الغارة الأولى في (1955/5/30م)، وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربياً وجرح عشرين آخرين. والثانية في مساء (1955/8/31م)، واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم الأخير مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوموا بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب

والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربياً وجرح خمسين.

في (1956/11/12) قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتلت البلدة والمخيم، وقتل منهما 275 شهيداً، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائياً على أهالي المخيم، فقتل 111 لاجئاً في المخيم.[5]

حرب (1967م) خطة إسرائيل باحتلال بور سعيد عن طريق خان يونس ورفح

وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بور سعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذات التسلح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجوماً عنيفاً على بلدة خان يونس، غير أنها أخفقت. فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدمراتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة ترك خان يونس محاصرة والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، وعززت الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية التحول نحو العريش وتقدمت باتجاه الشيخ زايد وإلى مناطق العريش.[6]

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص520، ياسين.

(2) نفس المرجع، ج6، ص522.

(3) نفس المرجع، ج6، ص525.

(4) نفس المرجع، ج6، ص530.

(5) نفس المرجع، ج6، ص... (فلسطين بالذاكرة).

(6) كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية – إنترنت).

الفصل العاشر: سياسة دولة الانتداب البريطاني على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل

كانت قرية الرامة وساكنيها من عرب عام 1948، من المناطق المقهورة منذ احتلالها، ومن اللحظة الأولى التي مرت عليها فلسطين في الحرب العالمية الأولى.[1]

انتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام (1929 و1936 و1948). وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة، ويحظرون التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعونهم في مركز آخر، ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح. وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار، يهدمون بيته بالمتفجرات. وكم هُدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين.

ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود، ومنحهم كل عوامل القوة، مثلاً: كنت من سكان عكا، وفي عام 1947م، وفي شهر آب، سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف. وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق سينما البرج فوق بوابة عكا القديمة. وما هي إلا لحظات، وقد رأيت سيارة بيك آب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة، لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية، أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوتشكس) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة، لحق بهم. وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم وقالوا لي أنهم راحوا من طريق صفد. وأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجد الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع وتهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق برشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة. وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي، عندما يرى أحدهم بين الزرع فيصرخ للجندي بقولنا "مستر، مستر، هذا واحد" فيلقى مصرعه.[2]

وبعد أن أتم الجندي مهمته، دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره، ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي". ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن. والهدف كان عند منظمة "شتيرن" تحرير جماعتهم من سجن عكا. إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك آب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود، وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

إن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية. عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين، أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة. ولما وصل الحنيطي إلى عكا، حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر. ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا، وواصل طريقه. وبعد مغادرته عكا، سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً، وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة "موتسكين". وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفين إنكليز في رأس الناقورة، ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجى. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا. توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين. وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها، فتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه.

لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: "امشوا فوق جثثهم". وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل، لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دُمِّر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس، وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً. هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

- أن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك. وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس القيصر في القرن السابع ق.م، وطيطس الروماني في القرن الأول ميلادي.
- أن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية. فالديانة اليهودية معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي، واليهودي الخزري مع اليهودي الأفريقي. وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة، لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.
- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك. فمصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، وقناة السويس تحت الاحتلال البريطاني. وسوريا كان لها جيش مستقل تنقصه التدريبات والأسلحة، ولم نتأكد من وجود جيش إلا بعد أن انضم له ضباط فلسطينيون، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري (1939-1952)، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا، ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان إمامهم يبيع طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة في تحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول، وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن عزام باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب

الفلسطيني وبشكل محايد، لا أن تساعد الصهيونية. ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب، الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية. علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية، خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم، في بلدة الطيبة. إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال، واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.

كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.

قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية. تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة. إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة، فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل غربية جديدة، ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة عربية دخلت أرض فلسطين.

إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً، مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

إن النقاط التي ذكرتها قليل من كثير، ينبغي على الفلسطيني خاصة أن يعرفها ويدافع عن حقه وشعبه وأمته.

الهجرة في زمن النكبة عام (1948م)

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ أرض الفلسطينية من سكانها، وإحلال اليهود محلهم. وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بأرض الميعاد، ولا بد من الرجوع إليها (أي للشعب الإسرائيلي) حتى يعمرها، إذ أنها أرض السمن والعسل. وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة كل أنحاء المعمورة. وقد ركزت رئيسة وزراء العدو (جولدا مائير) في خطاباتها بقولها: (إن أرض الميعاد أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). وقد شاعت هذه الأكذوبة وصدقوها. ولما كان الإنجيل نسخة معدلة للتوراة، فإن المسيحيين قد أخذوا بهذا منذ وقت طويل، وأن أرضها أرض السمن والعسل، إذ أغرت زعماء أوروبا ورجال دينها بغزوها، فكانت الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن، إذ تحررت ورجعت للأمة العربية. في عام 1977 كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها. شاهدت بعض العائلات اليهودية والتي غررت بهم الصهيونية، إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين، وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم، وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم، فأسقطوا بحيل وأكاذيب الصهيونية، وصمموا العودة لإنجلترا. ولكن السلطات ماطلتهم، فلجأوا إلى القنصلية البريطانية بالقدس فساعدتهم بالعودة، ويحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة.

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم. ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين. وتم تدمير 385 قرية عربية وأزيلت من خريطة فلسطين وذلك عام 1948م.

وبعد عام 1967م، وفي هذا العام استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض فلسطين وسيناء والجولان. وقد اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب كرد فعل لما فعله الأوروبيون وبشكل خاص في ألمانيا. وقد اتخذ هذا الإجراء أشكالاً عديدة منها:

- صودرت أراضي قريتي أقرت وكفر برعم بموجب قانون التملك للأراضي الذي أقره الكنيست في (1953/2/30م)، واستحلت السلطات الإسرائيلية أراضي أقرت في (1953/9/3م).
- طردت سكان قرية الجلمة غرب منطقة جنين من أراضيهم واحتلها الصهاينة. كما قامت بترحيل بدو النقب.

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم.(الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص ص 346، حسن عبد القادر).

1) قانون كتساف KATSAV لعام 1979م

يقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحلية غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى. وقد تضمن هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل خاصة، وقد طبق بأثر رجعي.

2) قانون كتساف للتحسينات

ينص هذا القانون بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

3) قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة

يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني، وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي. وتم مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل. وقد صدرت هذه القوانين في (1982/1/7م). وقد ضمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (مشاف).

4) **تحديد حرية الانتقال** استعملت السلطات العسكرية فرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري، الذي كان يرفض بمنح هذه التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.

5) **تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية** إذ قدرت سلطات الاحتلال على المواطنين العرب التصرف بمحاصيلهم الزراعية، وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م، استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.

6) **تحديد أجور العمال العرب** حيث حددت السلطات أجور العمال العرب، فيتقاضى العامل العربي أجراً أقل من أجر العامل الإسرائيلي، والكفاءة واحدة. وكذلك بالنسبة للوظيفة، فإن راتب الموظف العربي أقل من راتب الموظف اليهودي مهما كانت كفاءته. وقد أصدرت بتاريخ (26-12-1981م) نشرة "هستدروت" باللغة العربية، أوضحت الفرق بين العامل الإسرائيلي والعامل العربي من المناطق المحتلة.[3]

الاضطهاد الديني: لا يزال اليهود يعتبرون المسيحيين الذين يعيشون في فلسطين مرتدين، وقد اضطر بعض الكاثوليك مثلاً لممارسة شعائرهم الدينية سراً، خوفاً من أن يوصموا بالخيانة. واضطرت 1500 عائلة من الأزواج المختلفين الهجرة من فلسطين المحتلة هرباً من الاضطهاد، ذلك لأن أبناء الزواج المختلط من اليهود والمسيحيين كانوا موضع احتقار وطرد.

أجرة عامل عربي	أجرة عامل إسرائيلي
12.23شيكل	أجرة ساعة العامل البسيط عند بدء العمل: 19.90 شيكل
22.75شيكل	أجرة ساعة العامل المهني ذي الأقدمية 10-20 سنة: 35.50 شيكل
25شيكل	علاوة أقدمية: 51 شيكل

أما عن الاعتداء على حرية المعتقدات والمقدسات الإسلامية، فيمكن ذكر بعضها، وما أكثرها:

- حول اليهود مسجد النبي داود القائم على جبل صهيون في القدس إلى كنيس.
- نسف الصهاينة العديد من المساجد في القرى العربية المحتلة، منها مساجد قرى البروة- الغابسية- الكابري- كويكات في الجليل، وعشرات المساجد غيرها، ومحاولة حرق المسجد الأقصى.
- أغلق الصهاينة عدداً من المساجد في المدن والقرى، ومنعوا المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية فيها.

وتميزت حوادث الاعتداء على المراكز الدينية المسيحية في مدينة القدس كالآتي:

- تعرضت أربعة مراكز دينية مسيحية للحريق في مدينة القدس بتاريخ (11-2-1974م).

- الاضطهاد ووضع الصعاب، ووضع المناهج الصهيونية وفرضها على المدارس العربية، وأكثر من 40% من دروس التاريخ مخصصة في المناهج التعليمية وتفرض على العرب تحت الاحتلال، وهدفها حرمان العرب من تاريخهم وحضارتهم وتزيفها.
- إن 22% من اليهود في فلسطين المحتلة يتعلمون على حساب الحكومة، ولا يمنح طلاب العرب سوى 15.7% من المواطنين العرب.
- إن عدد صفوف الابتدائي في المدارس العربية في العام الدراسي (1981-1982م) أقل من العدد المطلوب بحوالي 1400 صف. وكذلك يعاني التعليم في المدارس العربية من نقص المؤهلين والمثقفين.

وفي عام 1961م، تألفت اللجنة العربية اليهودية لإلغاء الحكم العسكري. وفي (آب 1959م) أعلن بن غوريون عن سياسة جديدة تخفف من القيود المفروضة على العرب، وتلاه إشكول في (تشرين ثاني 1966م) بإعلان سياسة جديدة أخرى تلغي الحكم العسكري، وعلى دمج العرب بباقي السكان، ولو نظرياً على الأقل.

وبعد الصدمة المريرة التي تلت النكسة عام 1967م، انحسرت فكرة الاعتماد على الأنظمة العربية، واستجاب عرب الأرض المحتلة لفكرة الاعتماد على النفس، التي تجسمت بتفجر حركة المقاومة الفلسطينية وغليانها في كل مكان. وقد حاولت إسرائيل كسب أهل الضفة والجولان عن طريق استخدام عرب عام 1948 للتأثير فيهم. ويقول حبيب قهوجي: "إن محاولة إسرائيل فشلت وخاب أملها، وكما قال طوليدانو (أحد الناطقين الإسرائيليين) في صحيفة هآرتس: 'بدلاً من أن يؤثر عرب إسرائيل في عرب المناطق المحتلة للتعاون مع إسرائيل، وقع عرب إسرائيل تحت التأثير السلبي لعرب المناطق'". وبادرت السلطات عندئذ إلى منع العرب من دخول الضفة.

تجلت الروح الوثابة الجديدة في المظاهرات الكبيرة التي انفجرت عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وحمل المتظاهرون في عكا نعشاً رمزياً للراحل، فيما أغلقت المدارس أبوابها حداداً. وكثيراً ما تظاهر العرب وبعثوا باحتجاجاتهم على التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وما أكثرها، كالاعتقالات ونسف الدور وحرق الزيتون وتخريب الأشجار والتربة. وكثيراً ما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء المضربين عن الطعام. وقد عبر حتى السجناء العرب في سجن الرملة عن تأييدهم لزملائهم السجناء من عرب الضفة والقطاع. وقد تجلى تأثير الضفة والقطاع في عرب الأرض المحتلة عام 1948، بصورة أوضح في عام 1976م في وقفة "يوم الأرض." حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استمالة عرب عام 1948 بمنحهم الحراك السياسي، وشجعتهم في الاحتفال بمرور عشر سنوات على إعلان قيام دولتهم، كما فعلت بمدينة الناصرة. ولكن عرب أم الفحم وغيرها من قرى المثلث، وضمنها الطيبة، لم يقبلوا ويسكتوا على هذه الإهانة، فعقدوا اجتماعاً ونصبوا مكبرات الصوت التي راحت تذيع خطاباتهم الحماسية الوطنية وأناشيدهم القومية التي انتشرت بعد تأميم قناة السويس. ونظموا أول مظاهرة كبيرة بمناسبة عيد العمال، أدت إلى التصادم مع الشرطة ووقوع 18 جريحاً من الشرطة، بينهم عشرة من المتظاهرين. وحدثت مظاهرة أخرى مباشرة في أم الفحم أسفرت عن إصابة (7) من رجال الشرطة وضابط واحد.

وكانت هذه المظاهرات لطمة للسلطة التي توقعت أن يكون الاحتفال مظاهرة تأييد وابتهاج لها وإن كسبت الأمة العربية. فسارعت إلى قمع المتظاهرين واعتقلت 133 شخصاً منهم. فيما اتهم بن غوريون "الأيدي الأجنبية" ورأى الأحداث. وقد أدت هذه الأحداث إلى إحداث انشقاق في سياسة الدولة، ومحاولة البعض منهم تخفيف الظلم وإعطاء الحرية للحراك العربي الفلسطينيين. واستغل أفراد

القوميين العرب وأسسوا الجبهة الشعبية، والتي تألقت سابقاً وتحالفت مع الحزب الشيوعي، واستغلت وضعها، وكانت تعارض السياسة الإسرائيلية للعرب وتطالب بتحريرهم من الظلم. وقد أعطت أحداث (أيار/ مايو 1958م) مثلاً، كشفت أن المؤسسة الإسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية كما تسميها السلطات. وشارك في هذا النقد حتى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية. وبعد أسابيع قليلة، قدم 2000 شخصية بارزة عريضة يشجبون فيها سياسة الحكومة تجاه العرب، مثلت ذلك بيانات ومذكرات تتعلق بذلك.

المراجع:

(1) مشاهدات الكاتب مروان الماضي.
(2) الموسوعة الفلسطينية (خاص) ص 233، خالد الفشطيني.
(3) إقامة دولة إسرائيل.

الفصل الحادي عشر: انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين ضد شعبها العربي من إجراءات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد الأصليين. لكن الوضع اختلف بعد زوال الانتداب، حيث مارست الدولة المحتلة إسرائيل ضد شعب فلسطين الذي بقي في أرضه) ويُعرفون بعرب 1948(وكان عددهم حوالي 150 ألف نسمة)، وذلك عبر: إطلاق تسمية "عرب إسرائيل" أو "عرب 48" عليهم، ومنحهم الجنسية الإسرائيلية ونزع الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسميًا زمن الانتداب. وكان هذا القرار إجحافًا متعمَّدًا، حوَّل حياتهم إلى جحيم .لاحقًا، رأت السلطة الإسرائيلية أن الرأي العام العالمي أخذ يميل نوعًا ما نحو العرب، فألغت عنهم الأحكام العسكرية المجحفة ومنحتهم حرية الحركة وفرص العمل المقنَّنة والتعامل بالتجارة والصناعة.

كما سمحت لبعض القرى بتأسيس بلدياتها وخصصت لها ميزانية متواضعة لإنشاء المرافق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف .وكان هذا الإجراء يمنع البناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات، وكان الحصول على هذه الرخصة يستغرق الكثير من الوقت والمال، وغالبًا ما يكون الرد بالرفض. لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بمختلف عواملها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- العمالة والوظائف :يُمارس تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة، حتى إن تساوت المؤهلات، وكذلك في الأجور، وإن تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- الأجور: يوجد تمييز صريح في الرواتب، فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي ذات المهنة والمؤهلات.
- التعليم: تتعامل السلطات مع التعليم في أراضي داخل الخط الأخضر (عام 1948) معاملةً من الدرجة الثانية، سواء من ناحية البناء و المرافق، أو الميزانية المخصصة للمدارس العربية مقارنةً بمدارس المستوطنات.
- نقص الأراضي: تعاني البلدات العربية من نقص حاد في الأراضي المخصصة للبناء بعد أن صادرت السلطات معظم أراضي القرى وخصصت القسم الأكبر للمستوطنات.
- النواب العرب في الكنيست :مع أن النائب العربي ، الممثل لأبناء شعبه ، بموجب القانون يحق له الدفاع عن مطالب من يمثلهم، إلا أنهم يتعرضون للمضايقات .وقد أصبح النواب من عرب فلسطين يشكِّلون كتلةً موحدةً لها كلمتها في البرلمان الإسرائيلي، على الرغم من القرارات التي نعتت أعضاء هذه الكتلة بـ "الطابور الخامس "أو "القنبلة الموقوتة"، حتى إنه تم طرد بعضهم.

وبعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين سكان الضفة والقطاع وإخوانهم العرب في إسرائيل، طمعًا في تأثير هؤلاء) سكان عام 1948 (على إخوانهم في الضفة والقطاع للقبول بإسرائيل). ولم يَمضِ سوى شهور قليلة حتى تبين لهم أن أملهم تبدد هدرًا، وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، بل إن العواطف العربية قد توحدت ولم يتغير لدى إخواننا هناك أي شعور بالولاء لفلسطين من أرض ونبات وحيوان وإنسان .وبعد أن خاب ظنهم، سرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات وتبادل السلع والمعدات، وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

ولما واجهت المقاومةُ الاحتلال بكل وسائلها السياسية، عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات، تعاملت السلطات مع هذا الضغط بالنفي والسجن والاغتيال، كما في اغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة) وهو ما يُعَدُّ إرهاب دولة.فاشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى، الأمر الذي أربك السلطات العسكرية، وكان ردها قاسيًا، إذ تضمَّن كسر عظام المتظاهرين وإزهاق أرواح الكثيرين برصاص العسكر، بالإضافة إلى إصابات بالغة بالرصاص المطاطي، ناهيك عن السجون التي احتوت الآلاف من المعتقلين حتى قيل: "لم يَخْلُ بيت في الضفة والقطاع من أن يدخل أحد أفراده السجن."

ومن نشاطات المقاومة الكثيرة، كان يوم الأرض في (30 آذار) من عام (1976) حيث شارك أبناء فلسطين في إضراب عام شمل كل الفعاليات، وسُمي يوم المساواة (السلام)، ونظَّمته لجان الشؤون العامة لعرب إسرائيل في المناطق المحتلة عام (1948). وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل، متضمِّنةً أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية .ورغم تدخل بعض الزعماء العرب السياسيين لثني المتظاهرين عن استفزاز سلطات الاحتلال، إلا أن شعارات معادية لإسرائيل ومؤيدة لمنظمة التحرير ظهرت على الجدران في قرى الجليل وشفا عمرو وعكا، وأصبحت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية أمرًا شائعًا تتناقله الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني، أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتًا في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضرابًا شاملاً وسَمَّوْا إضرابهم هذا "يوم السكن ."كما ازدادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من قِبَلِ سكان عام.(1948) وفي حزيران عام (1967م)، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وشرَّدت مئات العائلات ومنعتهم من العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في (9 كانون الأول 1987)، إذ قام أهل المخيم وسكان القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز، عندما أطلق الجنود النار على متظاهرين في جباليا فاستشهد شخصان وجُرح ستة وعشرون بينهم أطفال.

وبعد فرض منع التجول على المخيم، انطلق شرارة الانتفاضة لتعمَّ كل القطاع ثم تمتد إلى الضفة الغربية .وإزاء هذا المشهد اليومي، هبت فلسطين المحتلة كلها تأييدًا وتعاونًا. وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة، حدث إضراب عام لم تشهد البلاد مثله منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة .وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وهذا التقليد النضالي معروف عن الآباء والأجداد. ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس ، انطلقت الجماهير في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد من أجل تحرير فلسطين. كما خرجت جماهير الداخل الفلسطيني (عام 1948م) في الناصرة وحيفا وعكا وامتدت إلى صحراء النقب .وقد شارك أهلنا في الجولان السوري المحتل في هذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس مع الشرطة الإسرائيلية.

واستمرارًا للانتفاضة، وفي ذكرى معركة الكرامة في (21 آذار)، رُفعت أعلام فلسطين ووُضِعَت المتاريس في ظل إضراب شامل في أم الفحم وقلقيلية، تحديًا للحصار العسكري والتزويدي الذي فُرض عليهما منذ تسعة أيام.

وتمكنت المجموعات المقاومة من نصب المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية .وقد قابلت السلطات الإسرائيلية ذلك كعادتها بالعنف والتنكيل من ملاحقة واعتقالات.[2]

كانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من تضحيات: 1162 شهيدًا بينهم حوالي 241 طفلاً، ونحو 90ألف جريح، وما يزيد عن 15ألف معتقلاً، وتدمير 1228منزلاً، واقتلاع 140ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية. كما تم اعتقال أكثر من 60ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة والمجتمع العربي داخل إسرائيل، بالإضافة إلى الأسرى العرب .ولاستيعاب هذا العدد الهائل، افتتحت إسرائيل سجونًا جديدة مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب الذي أُنشئ عام (1988م).

وقد قُتل من الإسرائيليين 160 شخصًا بينهم خمسة أطفال. حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، منها الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر اعتراف إسرائيلي أميركي بأن سكان الضفة والقدس والقطاع هم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثيرًا سلبيًا على المجتمع الإسرائيلي أيضًا، كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي، بالرغم من الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير للبحث عن أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين .وأدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي، فقد عُدَّ ذلك نهاية لتهديد محتمل من "الجبهة الشرقية"، واستبعد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل .وأدى هذا إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد، فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي مكَّنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر مخاطرةً على العرب، عندما استخدم الرئيس الأمريكي جورج بوش نتائج الحرب كنقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية .وبموافقة الدول العربية، انعقد مؤتمر مدريد الذي شكَّل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين إسرائيل وجاراتها، بالإضافة إلى تشاور مع الفلسطينيين حول حكم ذاتي .ثم أُجري بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في النرويج، والتي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي نصَّ على انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً بغزة وأريحا عام (1994)، ومتواصلًا إلى باقي المدن مثل الخليل، مع استثناء قلب مدينة القدس وهو ما يتناقض مع روح الاتفاق. وكان قد سبق التوقيع على الاتفاق تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين، تعترف فيه منظمة التحرير بحق إسرائيل في الوجود وتتعهد بإلغاء بنود الميثاق الوطني التي تنكر ذلك، بينما التزمت إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني.

وتم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي تولت مهام الإدارة المدنية الإسرائيلية السابقة تنفيذًا للاتفاقات الموقعة .وفي سبتمبر من عام (1995م)، تم توقيع اتفاق جديد سُمي أوسلو 2، وتضمَّن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل المجلس التشريعي الفلسطيني .وفي 20كانون الثاني سنة 1996، أُجريت أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية .وتم نقل الصلاحيات والمسؤوليات إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمس مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة، والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام (2000م)، ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لاقتراب نهاية الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بموجب اتفاقية أوسلو، بالإضافة إلى الشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بعد فشل قمة كامب ديفيد، التي بيَّنت محاولة إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة لفرض حل على الفلسطينيين بعيدًا عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية وقراراتها(194- 242- 338) يضاف إلى ذلك عدم تطبيق إسرائيل لعدد من البنود التي اتفق عليها في أوسلو أو في الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة، واستمرار السلطات الإسرائيلية في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى، بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات، واستبعاد عودة اللاجئين، واستبعاد الانسحاب إلى حدود عام (1967م)، فشعر الفلسطينيون بفشل واستحالة الاتفاق مع الإسرائيليين، وأن المحادثات هي مضيعة للوقت.

وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي، قام رئيس وزراء إسرائيل آنذاك آرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى والتجول في ساحاته معلنًا أن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية، الأمر الذي أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بينهم وبين جنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى، فسقط سبعة شهداء وجُرح 250فلسطينيًا، وأُصيب 13جنديًا إسرائيليًا .وكانت هذه بداية انتفاضة الأقصى.[3]

بدأت الانتفاضة في 28 /9/ 2000، وتوقفت فعليًا في 2005/2/8 بعد اتفاق الهدنة الذي عُقد في شرم الشيخ بين الرئيس الفلسطيني المنتخب حديثًا محمود عباس ورئيس وزراء إسرائيل آرييل شارون. وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقتها بالعنف المسلح وتصاعُد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، راح ضحيتها 4412 شهيدًا فلسطينيًا وجُرح 48322آخرون .أما خسائر الجيش الإسرائيلي فكانت 334قتيلاً، وقُتل 735مستوطنًا، ليصبح مجموع القتلى الإسرائيليين 1069 قتيلاً وما يزيد عن 4500جريح، بالإضافة إلى تعطُّل 50دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات .وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها لاجتياحات إسرائيلية واسعة، منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية ومؤسسات السلطة وممتلكات المواطنين، واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وما خلَّفه من آثار مدمرة على الشعب الفلسطيني، وذلك تحت سَمْع الأمم المتحدة وبصرها، وبموافقة بعض حكام العرب المتخاذلين المنبهرين بـ"هيبة "الكيان الصهيوني.
- تطوير المقاومة للقدرات الصاروخية كماً ونوعًا، وفشل إسرائيل في القضاء على المقاومة، رغم محاولتها تأليب بعض الحكام العرب ضدها، وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل الرامية إلى تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من

حقوقهم وتهجيرهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى. لكن مكرهم سيرتد عليهم، والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين، وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم، والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.
2) تراجُع السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (رحبعام زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) سقوط عدد من القتلى الإسرائيليين خلال اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
6) تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، خاصة بعد معركة مخيم جنين التي قُتل فيها 23 جنديًا إسرائيليًا وجُرح 75.
7) تضرُّر اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية .لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة بشكل كبير، لدرجة أن دولاً قلما تشهد المظاهرات مثل دول الخليج شهدت خروج مظاهرات تأييدًا لها، وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها عدة مؤتمرات شكلية لاحتواء الغضب الشعبي وما تزال.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية الداخلية، فجمَّدت مفاوضات السلام التي تخلَّت عنها أساسًا، ورأت أن الوضع الإقليمي المضطرب يخدم طموحاتها، فأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى لإقامة المستوطنات عليها، وانطلق الاستيطان بشكل نشط رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ، تلك المنظمة التي باتت في نظر الكثيرين أداة للاستعمار الحديث.

وطاب لحزب الليكود بزعامة نتنياهو وبتحالف مع ليبرمان العنصري، مشاهدة خذلان بعض القادة العرب وتواطؤهم العلني مع عدوهم، حيث يتم تعاون أجهزتهم الأمنية مع من لا يهتمون بمصالح شعوبهم.

إذ أخذ بعض هؤلاء الحكام يمارسون الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتونها بـ"الإرهاب"، فازدادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين من خلال زيادة وتيرة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بصورة جماعية، حتى أن سكان (1948) لم يسلموا من التنكيل بسبب عروبتهم .وأطلقت العنان لعصاباتها من المتطرفين للعَبَث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بهدف تخويفهم وتهجيرهم، من حرق بيوت على ساكنيها، وحرق بساتين الزيتون، وتجريف الأراضي، والإعتقال الممنهج للناشطين .وكان من أبرز هذه الإجراءات إغلاق المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة في 14/تموز/2017، وهو يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين، إلى جانب التصريحات الاستفزازية المتكررة التي تؤكد تصميمهم على تهويد كل فلسطين، بينما الأمم المتحدة تقف عاجزة عن نصرة المظلوم بفعل هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية.

والأغرب من كل ذلك تصريحات بعض رؤساء الغرب التي تنتقد إسرائيل شكليًا على ما تقوم به دون اتخاذ أي إجراء عملي لردعها. فقد قام شعب فلسطين في الداخل والخارج بالتصدي لسلطات الاحتلال، والتزم المقدسيون بالصمود فاحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم العارية مُبرهنين للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد .وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بمزيد من العنف واستخدام قنابل الدخان والرصاص المطاطي والإعتقالات، فازداد عدد الجرحى، لكن شعب القدس بقي صامدًا وخلفه أهله في كل فلسطين.

لم يُدرك الغرب بعد أن الصهيونية أصبحت عبئًا عليه، وقد يأتي دوره فيما حل بالزعامات العربية المتهاوية من ذل واحتقار .بل إن بعض الساسة في الولايات المتحدة أصبحوا يشعرون بسطوة اللوبي الصهيوني (آيباك) على مفاصل الحكم، ودوره في السيطرة على الكونغرس والبنتاغون ثم البيت الأبيض في عصرنا هذا.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا أن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان، ويبقى التغيير في النظم سُنَّة حتمية، وأن السعي نحو العدل والمساواة ونبذ الظلم هو سمة الإنسانية في مواجهة الطغاة.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الخاص (ج6)، ص 1006، إعداد: شفيق الحوت وبيان نويهض.

(2) نفس المصدر، ص 1008.

(3) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا